اسم الطالب : مؤيد عبيد صوينت

المرحلة والقسم : الماجستير / قسم اللغة العربية

الكلية والجامعة : كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

عنوان الطالب : بغداد/ مدينة الصدر

بريد الطالب الالكتروني : لا يوجد

عنوان البحث : تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي

تاريخ المناقشة : الثلاثاء ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٦

المشرف : الدكتورة : نوال كريم زرزور

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ . ٣
التمهيد	٤ . ١٥
حياة المفسر	٤ . ١٠
تفسير من وحي القرآن	١٠ . ١٥
الفصل الأول : مثاقفات في علم اللغة النصي	١٦ . ٥٦
المبحث الأول : لسانيات النص .. إضاءة تاريخية	١٦ . ١٩
المبحث الثاني : النص وعلم اللغة النصي	١٩ . ٢٣
١ . مفهوم النص في الموروث المعجمي العربي	١٩ . ٢٠
٢ . النص وعلم اللغة النصي	٢٠ . ٢٣
المبحث الثالث : أهمية علم اللغة النصي ووظيفته	٢٤ . ٢٦
المبحث الرابع : الجملة والنص	٢٧ . ٣٠
المبحث الخامس : النص والمعنى	٣١ . ٣٤
المبحث السادس : معايير النصية	٣٥ . ٤١
المبحث السابع : اتجاهات البحث النصي	٤٢ . ٤٩
١ . التحليل النحوي . الدلالي للنص عند (فان دايك)	٤٤ . ٤٥
٢ . التحليلي التوليدي للنص (نظرية بتوفي)	٤٦ . ٤٧
٣ . تجزئة النص عند (فاينرش)	٤٨ . ٤٩
المبحث الثامن : القرآن (النص)	٥٠ . ٥٢
المبحث التاسع : النصية في التراث العربي	٥٣ . ٥٦
الفصل الثاني : التماسك النصي	٥٧ . ١٠١
المبحث الأول : الوسائل اللغوية	٦١ . ٧٧
١ . الأدوات	٦١ . ٦٨

٢ . الإحالة أو المرجعية	٦٩ . ٧٧
المبحث الثاني : الوسائل الدلالية	٧٨ . ١٠١
١ . السياق	٧٨ . ٨٥
٢ . المقام	٨٦ . ٩٢
٣ . المكنون المعرفي (المعرفة القبلية)	٩٣ . ١٠١
الفصل الثالث : البنى النصية والعلاقات النصية	١٠٢ . ١٤٤
المبحث الأول : البنى النصية الكبرى	١٠٢ . ١١٩
المبحث الثاني : العلاقات النصية	١٢٠ . ١٣٤
المبحث الثالث : تعيين المخاطب في النص	١٣٥ . ١٤٤
النتائج	١٤٥ . ١٤٦
المصادر والمراجع	١٤٧ . ١٦٣
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .

امتلك النص القرآني بنية لغوية . دلالية عميقة الثراء ، فهو خطاب إلهي إنماز بمزيتين أساسيتين ، الإعجاز والخلود ، ومنذ لحظة الوحي الأولى وقراءة القرآن . منظورا إليها بمعناها العام الذي يتجاوز تهجي الحروف . تتجدد من غير انقطاع ، ففهم النص وقراءته هو غير إرادة معناه اللغوي ؛ لذا مثل المنجز التفسيري شكلا من أشكال التواصل المستمر بين القرآن الكريم ومتلقيه ، فللمفسر شأو محوري في بيان الدلالات المتعددة المنضوية بين دفتي الكتاب الكريم ، ولم يكن الجهد المعرفي لدى المفسرين . قدماء ومحدثين . مقصورا على جانب بعينه ، وإنما أولى العلماء الذين تركوا مصنفات تفسيرية اهتماما بأبحاث معرفية متنوعة ، بتعدد الرؤى والينابيع التي انطلقوا منها ، فمنهم من ركز في الجانب الفقهي ، ومنهم من أولى البحث الفكري جل عنايته ، وثالث انصب اهتمامه على المباحث الفلسفية في القرآن ...الخ .

وإذا كان التفسير قراءة للنص القرآني الكريم ، فإن تناول عمل المفسر في تفسيره هو قراءة لقراءته النص القرآني ، وهذا ما نهضت به معظم البحوث والرسائل في تناولها لجهد المفسرين متمثلا في دراسة الجهود الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية عند مفسر بعينه ، وهو ما تعاهده الباحثون في قراءة المنجز التفسيري للقرآن الكريم .

تطمح الدراسة إلى محاولة اكتشاف مبادئ وأسس غير معهودة في الدراسات الأكاديمية للتعاطي مع المنجز التفسيري الذي تناول النص القرآني ، وصياغة مداخل للبحث الدلالي ، لا تلغي أصول العمل اللغوي المتعارف عليها عند الباحثين بأدوات ومستويات لغوية معروفة ، وإنما تعزز المرجعية الدلالية في عملية التفسير ، وتضيء الرؤية المنهجية لتفسير القرآن بالقرآن .

والبحث محاولة متواضعة لقراءة تفسير (من وحي القرآن) قراءة مختلفة، أقصد دراسة المنجز التفسيري (للعلامة فضل الله) من وجهة نظر نصية ، وما

ساعد على هذا التوجه ، أن المفسر نظر إلى القرآن . على امتداد تفسيره . وحدة معرفية متكاملة ، متخذا من تفسير القرآن بالقرآن نقطة انطلاق أساسية في التفسير ، ما شجع الباحث على تناوش عمله ، وبيان الإشارات والمباني النصية المتعددة التي حفل بها التفسير ، أما لماذا هذا الموضوع بالذات ؟ فلأن الباحث كان يشدوه الأمل في أن يتناول في دراسته العليا جانبا من كتاب الله المقدس ، وما يتصل به ، ولم يعن بصره إلى الدراسات التقليدية ؛ لأنها أشبعت بحثا واجترارا ، فكان اختيار الموضوع بعد قراءة مضنية لمعظم الاتجاهات اللغوية من اجل الاستقرار على اتجاه معين ، وبعد الأخذ بآراء أساتيذي في الموضوع توكلت على الله ، وطفقت أبحث وأنقب عن كل ما يمت للبحث بصلة ، ولم يتبع البحث اتجاها معينا من اتجاهات البحث النصي ، وإنما حاول الإفادة من معطياتها مجتمعة ؛ لأنها متداخلة فيما بينها ،ولا غنى لأحدها عن الآخر في الدرس النصي المعاصر، لذا وقع البحث في فصول ثلاثة وخاتمة ، مهد لها بمقدمة عن حياة المفسر ، ووصف عام للتفسير .

تناول الفصل الأول عرضا نظريا لنشأة علم اللغة النصي ، وعلاقة النص بالمعنى ، بالجملة ، ومعايير النصية ، واتجاهات البحث النصي ، وعرض للنص القرآني ومكانته ، وختم ببيان بعض الجذور النصية في التراث المعرفي العربي .

ونهض الجانب التطبيقي بالفصل الثاني ، وتمحور في مفهوم التماسك النصي ، فجاء على مبحثين أساسيين : أولهما الوسائل اللغوية للتماسك ، واشتمل على الأدوات اللغوية ، وعلى الإحالة أو المرجعية ، أما المبحث الثاني فاشتمل على الوسائل الدلالية للتماسك ، وضمت السياق ، والمقام ، والمكنون المعرفي .

أما الفصل الثالث فقد وزع بين مباحث ثلاثة ، عني الأول بالبنى النصية الكبرى للتفسير ، والثاني ببيان العلاقات النصية في النص القرآني كما يراها المفسر، ثم ختم الفصل ببيان تعيين المتلقي وأثره في بيان دلالة معينة من النص القرآني .

وأود أن أورد هنا ثلاث صعوبات عاناها البحث ، فضلا عن الصعوبات المعروفة ، وهي :

١. أن هذا البحث سواء أمن جهة المنهج كان أم من جهة التفسير موضوعا بكرا لم يطرق في الدراسات الأكاديمية أو في غيرها.

٢. طول التفسير ، إذ يقع في أربعة وعشرين مجلدا ، وهو حجم يحتاج إلى جهد كبير لقراءته ،وجهد أكبر لدراسته ، ووقت البحث لا يسع الجهدين.
٣. أن السيد المفسر يورد بعض الآراء هنا وهناك ، إلا أنه لا ينسبها ، وان نسبها فإنه لا يذكر الصفحة إلا في مواضع قليلة ، ما تطلب من الباحث عملا شاقا في تخريج الأقوال ، ونسبتها إلى أصحابها .

ولا يسعني في مقامي هذا إلا أن أقدم وافر الشكر والتقدير للدكتورة نوال كريم زرزور التي لم تبخل على البحث بملحوظاتها القيمة والسديدة ، وأوجه شكري وتقديري إلى أستاذي العلامة الدكتور نعمة رحيم العزاوي الذي لولاه لم ير هذا البحث النور ، وأستاذي الدكتور عبد الرحمن شهاب ، وأشكر جميع أساتذتي في كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، وأساتذتي في كلية التربية جامعة بغداد ، وأخص منهم الدكتور ضرغام محمود والدكتور تحسين الوزان ، وكل من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث .

الباحث

التمهيد

حياة المفسر

١ . الاسم والنسب :

هو السيد محمد حسين بن السيد عبد الرؤوف بن السيد نجيب[١] بن محيي الدين بن نصر الله بن محمد بن علي بن يوسف بن السيد فضل الله الحسني العاملي العيناثي[٢] ، من السادة آل فضل الله[٣] ، وهو الولد الذكر الأول لعائلة تتكون من عشرة أشخاص[٤] ، سليل عائلة دينية تعيش امتدادات الزمن في لبنان وقبل ذلك في مكة[٥] .

٢ . ولادته ونشأته :

دلف السيد فضل الله إلى الحياة في جوار المرقد الطاهر لجده أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الأشرف ، وكانت ولادته في التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٣٥٤هـ الموافق لعام ١٩٣٦م[٦] ، أما الثابت عن السيد نفسه فهو التاريخ الهجري لولادته ، أي سنة ١٣٥٤هـ[٧] ، وهو الموافق ١٩ شباط ١٩٣٥م[٨] ، وكان انفتاحه على الواقع مبكرا جدا ، إذ نظم قصيدة شعرية لفلسطين وهو في العاشرة أو في الحادية عشرة من عمره كما ذكر ذلك[٩] .

---

(١) ذكر محمد هادي الأميني : أن اسم جده نجيب الدين ، ينظر : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام : ٩٤٣/٢ .

(٢) نسبة إلى جبل عامل ثم عيناثا .

(٣) ينظر : شعراء الغري : ٣٠٦/٨ ، ومحمد حسين فضل الله أمة في رجل : ٧ ، ومحمد حسين فضل الله شاعرا : ٢٣ .

(٤) ينظر : أسئلة وردود من القلب : ١٨ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٠ .

(٦) ينظر : شعراء الغري : ٣٠٦/٨ ، ونشرة بينات الصادرة عن المكتب الإعلامي للسيد في ١٩٩٨/١/٧ .

(٧) ينظر : محمد حسين فضل الله شاعرا : ٢٨ .

(٨) ينظر : المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي : ١٥ .

(٩) ينظر : حوارت في الفكر والسياسة والاجتماع : ١٤ . ١٥ .

دراسته :

بدأ الدراسة في الكتاتيب عند شيخ يكاد يكون أميا في ثقافته . على حد وصف المفسر . وإن كان يملك بعض المعلومات في القراءة والكتابة ، من غير أية إمكانات فنية ومعرفية في المسألة التربوية ، أما طريقة التدريس فهي الطريقة القديمة ، أي طريقة الاستظهار ، وكانت الفلقة طريقة التأديب[١] .

ثم انتقل إلى متابعة دراسته على يد الشيخ موسى الذي تجاوز الشيخ الأول في ثقافته وطريقة تربيته ، وقد تعلم على يده القراءة والكتابة وبعض المسائل الحسابية ، لكنه كان يميز بين طلابه ، إذ كان يقدم الأغنياء على الفقراء الذين كان السيد فضل الله واحدا منهم ... وهذا ما حز في نفسه[٢] .

انتقل بعد ذلك إلى مدرسة (جمعية منتدى النشر) فترفع فيها إلى الصف الثالث متجاوزا الصفين الأول والثاني ، بناء لتقدير أصحاب هذه المدرسة الذين هم من العلماء المثقفين[٣] .

ترك المدرسة في الصف الرابع[٤] ، والتحق بالحوزة الدينية في النجف نحو ١٣٦٣هـ وكان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة[٥] ، واستغرقت دراسته الحوزوية اثنتين وعشرين سنة أي إلى عام ١٣٨٥هـ[٦] .

وقد أثرت فيه أجواء الحوزة الضاجة بالمناقشات الفكرية بين طلاب العلوم الدينية من جهة ، والأساتذة من جهة أخرى ، أو بين الطلاب أنفسهم ، فأكسبهم القدرة على إنتاج المعارف وتوليدها لا استظهارها ، وصار العمق في التفسير والتحليل بسبب هذه السبل في التدريس ، والروح النقدية ، ملكة لديهم على رأي السيد فضل الله ، ولكن مع ذكره هذه الإيجابيات الموجودة في الحوزة الدينية ، تولد لديه .

---

(١) ينظر : أسئلة وردود من القلب : ١١ . ١٢ .

(٢) ينظر : أسئلة وردود : ١٢ .

(٣) ينظر : المرأة : ١٦ .

(٤) ينظر : أسئلة وردود : ١٣ .

(٥) ينظر : فضل الله شاعرا : ٢٨ ، والعلامة فضل الله وتحدي الممنوع : ٢٥ . ٢٦ .

(٦) ينظر : أمة في رجل : ٧ .

عن أساليب التعليم في الحوزات بشكل عام . انطباع سوف يعبر عنه فيما بعد في أحد كتبه ، فالاعتقاد بأن الطرق الحوزوية هي المثلى لا الجامعية ، هو اعتقاد مخطئ ، والعكس صحيح ، لأن لكل من الحوزة والجامعة إيجابياتها وسلبياتها ، والطريقة الأفضل هي غربلة ما لديهما من الأساليب ، وتشكيل أساليب جديدة متلاحمة ، تغني التجربة في العمق والامتداد[١] .

في أثناء وجوده في النجف وهو في الخامسة عشرة اطلع على معظم الاتجاهات الفكرية ، فانكب على قراءة الكثير من كتب الأدب والشعر والمنطق والفلسفة ، واطلع على المقالات الفكرية التي كانت تنشر في المجلات المصرية والعراقية واللبنانية[٢] .

أساتيذه :

قضى معظم دراسته الأولى فيما عرف بالمقدمات والسطوح عند والده السيد عبد الرؤوف فضل الله[٣] ، وقد تأثر بشخصية والده الذي علمه أن يناقش في أقدس المقدسات[٤] فكان يقول لوالده مثلا : (تعال لنتحدث في الكفريات)[٥] ، وتعلم منه سعة الصدر ، وعدم الرد على السباب أو الشتائم ،ولا على جزئيات صغيرة .

أكمل دراسته العليا في الفقه والأصول (البحث الخارج) متتلمذا على كبار علماء النجف ومراجعها[٦] :

---

(١) ينظر : دنيا الشباب : ١٣٠ . ١٣١ ، والمرأة : ١٧ .

(٢) ينظر : أسئلة وردود : ٢٠ . ٢١ .

(٣) ولد في عيناثا عام ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م ، وتلقى دروسه الأولى فيها ، هاجر إلى النجف ١٣٤٦هـ . ١٩٢٧م ودرس على كبار علمائها ، أصبح أحد كبار علماء الدين في النجف وجبل عامل ، من الشخصيات المعروفة بالقداسة ، والتقى والورع ، توفي في بيروت عام ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ، ينظر : شعراء الغري : ٣٥٨/٥، ومستدركات أعيان الشيعة : ١١٩/٣ .

(٤) ينظر : أمة في رجل : ٧ .

(٥) ينظر : المرأة : ١٨ .

(٦) ينظر : المرأة : ١٨ ، وفضل الله مفسرا : ٢٧ ، وأمة في رجل : ٧ ،وحوارات : ٥٤٧، وفضل الله شاعرا : ٢٨ .

. السيد محسن الحكيم[١] .

. السيد أبو القاسم الخوئي[٢] .

. السيد محمود الشاهرودي[٣] .

. الشيخ حسين الحلي[٤] .

تدرج المفسر في الدراسة على أيدي أولئك الكبار والعلماء ، واختلف إلى أعلى الحلقات في الفقه والأصول ، وحقق مبكرا مكانة علمية لافتة .

زار لبنان لأول مرة سنة ١٩٥٢م ، إذ شارك في إحياء أربعينية السيد محسن الأمين ، والتقى مختلف أعلام الأدب والسياسة ، عاش الواقع اللبناني عن قرب ، وألم بأوضاعه الداخلية ، وصار يتنقل بين النجف ولبنان إلى أن غادر النجف الأشرف للمرة الأخيرة بصحبة والده سنة ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٦م ليقيم في بيروت بدعوة

---

(١) (١٣٠٦ . ١٣٩٠هـ ، ١٨٨٩ . ١٩٧٠م) هو محسن بن مهدي بن احمد الطباطبائي الحكيم ، مجتهد إمامي آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني ، من مؤلفاته (مستمسك العروة الوثقى ، وحقائق الأصول وغيرها) ينظر : أعيان الشيعة : ٥٦/٩ ، والأعلام : ٢٩٠/٥ .

(٢) (١٣١٧ . ١٤١٣هـ ، ١٨٩٩ . ١٩٩٢م) هو السيد أبو القاسم بن علي أكبر ، ولد في بلدة خوي من بلاد أذربيجان في أسرة دينية عريقة ، التحق بوالده في النجف الأشرف وهو في الثالثة عشرة من العمر ، نال مرتبة الاجتهاد في مرحلة مبكرة من عمره ، آلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة السيد الحكيم ، إنماز بمنهج علمي وأسلوب خاص في التدريس ، من مؤلفاته (معجم رجال الحديث،والبيان في تفسير القرآن وغيرها)،ينظر:مجلة الموسم :١٣ .

(٣) (١٣٠١ . ١٣٩٤هـ ، ١٨٨٣ . ١٩٧٤م) ولد في قرية شاهرود ، وتوفي في النجف الأشرف ، تلقى دراسته الأولى في شاهرود ، ثم انتقل إلى النجف وتابع دراسته إلى أن استقل بالتدريس ، وأصبح من أهم المراجع بعد وفاة السيد الحكيم . ينظر : مستدركات أعيان الشيعة : ٢١٩/١ .

(٤) (١٣٠٠ . ١٣٧٦هـ) أبو القاسم الحلي ، ولد في الحلة ، ودرس علوم العربية والمنطق ثم هاجر إلى النجف سنة ١٣١٤، ودرس على كبار علماء عصره ، ويعد من شعراء النجف ، ينظر : ماضي النجف وحاضرها : ٣٧٨ . ٣٧٩ .

من جمعية أسرة التآخي في النبعة ، ثم استقر نهائيا في ضاحية بيروت الغربية في حارة حريك[١] .

يعد السيد الآن من مراجع الدين الكبار ، وله مقلدون في مختلف بلاد العالم الإسلامي ، بعد أن التزم لنفسه منهجا قويما في دراسته ، وفهم الشريعة وعلومها، ما جعل تجربته الفقهية والفكرية تتسم بالتفرد والامتياز[٢] ، ورغم اتساع مسؤولياته وارتباطاته بعد تصديه للمرجعية الدينية ، فإنه لم ينقطع عن التدريس ، ومازال يلقي دروس البحث الخارج ، سواء في بيته في الضاحية الجنوبية من بيروت ، أو في حوزة المرتضى في منطقة السيدة زينب في دمشق[٣] .

مؤلفاته ونتاجه العلمي :

عرف السيد فضل الله بغزارة إنتاجه العلمي ، ويمكن رصد عدد من مؤلفاته على النحو الآتي :

١ . تفسير من وحي القرآن ،ويقع في خمسة وعشرين جزءا مع الفهارس.
٢ . قضايانا على ضوء الإسلام .
٣ . خطوات على طريق الإسلام .
٤ . الحوار في القرآن .
٥ . الدين بين الأخلاق والقانون .
٦ . الإسلام ومنطق القوة .
٧ . الحركة الإسلامية هموم وقضايا .
٨ . مفاهيم إسلامية عامة .
٩ . رسالة التآخي .
١٠ . من اجل الإسلام .

---

(١) ينظر : حوارات : ١٥ ، وفضل الله شاعرا : ٢٩ .

(٢) تميز السيد بأنه لم يقرأ الفقه في بطون الكتب وموسوعات الفقه المعروفة حسب ، بل قرأه أيضا في ساحات الحياة ، وعيون الناس ، من طريق حاجاتهم واهتماماتهم ومعاناتهم التي عايشهم فيها عن قرب ، ينظر : فقه الحياة : ١٠ .

(٣) ينظر : فضل الله شاعرا : ٣٠ .

١١ . دور المرأة الرسالي .

١٢ . أسلوب الدعوة في القرآن .

١٣ . يا ظلال الإسلام . شعر .

١٤ . قصائد للإسلام والحياة . شعر .

١٥ . الفتاوى الواضحة .

١٦ . تأملات إسلامية حول المرأة .

١٧ . مع الحكمة في خط الإسلام .

١٨ . الندوة : وهي سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية التي تعقد في دمشق صدر منها لحد الآن خمسة عشر مجلدا .

١٩ . حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع .

٢٠ . في رحاب أهل البيت .

ويلحق بمؤلفات السيد مجموعة من الحوارات معه وهي :

١ . فقه الحياة : حوارات أجراها معه أحمد أحمد ، وعادل القاضي .

٢ . الإسلام وفلسطين ، حوار شامل أجراه معه محمود سويد .

٣ . أسئلة وردود من القلب ، حاوره فيه وضاح يوسف الحلو ، وإسماعيل الفقيه .

٤ . دنيا الشباب ، حوار أجراه احمد احمد وعادل القاضي .

٥ . دنيا المرأة ، حوار سهام حميه ، إعداد منى بليبل .

٦ . دنيا الطفل ، حوار نبيهة محمد

٧ . خطاب الإسلاميين والمستقبل ، حوار غسان بن جدو .

٨ . المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية حوار سليم الحسيني[١] .

وغيرها من المحاضرات التي طبعت في كراريس صغيرة .

---

(١) ينظر : فضل الله شاعرا : ٣٥ ، وأمة في رجل : ٨ .

تفسير (من وحي القرآن) :

يقع التفسير في أربعة وعشرين جزءا ، وكانت أبحاثه عبارة عن دروس قرآنية تلقى على مجموعة من الطلاب المؤمنين المثقفين[١] ، قبل أن يقوم المفسر بجمعها وإعادة كتابتها في تفسير كامل للقرآن الكريم .

أما سبب التسمية فيعلله المؤلف بقوله : ((سميت تفسيري من وحي القرآن ؛ لأنه يحاول أن يستوحي القرآن حركيا ، ويستوحيه للحاضر والمستقبل))[٢] . وهو تفسير حركي . بحسب وصف المفسر . منفتح على الحياة ، حاول أن يستوحي القرآن في الجانب الحركي الإسلامي في الواقع[٣] .

وبصدد تقويم التفسير كتب أحد الباحثين : ((من وحي القرآن تفسير تربوي اجتماعي شامل ، يعد من أروع التفاسير الجامعة،من روح حركية نابضة بالحيوية الإسلامية العريقة ، انطلق فيه المؤلف ...يعمل في إحياء الجو القرآني في كل مجالات الحياة المادية والمعنوية ، نظير ما صنعه سيد قطب في تفسير (في ظلال القرآن) ... وهكذا يمتاز هذا التفسير بأسلوبه الأدبي الرائع ، مع المزج بينه وبين الأسلوب العلمي المتأدب النزيه ، مما يجعل الكتاب رائعا ، يجذب القارئ إليه جذبا ويجعله يتفاعل معه مغرما به))[٤] .

منهج المفسر :

يقول المفسر : ((وقد حاولت في هذا التفسير أن أعيش القرآن في عقلي، وقلبي ، وحياتي ، في فهم آياته ، واستيحاء أفكاره ،في كل مسيرتنا الإسلامية الصاعدة إلى كل الآفاق))[٥] ، وبصدد المنهج الذي اتبعه فيقول : ((أما المنهج الذي الذي انطلقت فيه ، هو أن أفهم القرآن من خلال (كذا)[٦] الأجواء التي يعيش فيها

---

(١) ينظر : التفسير : ٢٣/١ .

(٢) ينظر : من وحي القرآن وثلاثية الظهور ، مقابلة مع المفسر ،مجلة قضايا إسلامية :١٩.

(٣) ينظر : حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع : ٩٥ .

(٤) التفسير والمفسرون . معرفة . ٤٧٤/٢ .

(٥) التفسير : ١٩/١ .

(٦) الصواب : من طريق .

القرآن كونه كتاب الحركة الإسلامية ، أي الدعوة الإسلامية التي يرشدها الله من خلال (كذا)[1] القرآن الكريم))[2] .

يمكن إجمال منهج المفسر في تفسيره بما يأتي :

١ـ يفتتح السورة ذاكرا سبب التسمية ، مع وصف مجمل يحدد فيه المعالم الأساسية ، والأفكار ، والرؤى التي تتقوم بها وتشير إليها آيات السورة .

٢. يشير إلى معاني المفردات التي تفتقر إلى توضيح ، كما هو شأن التفاسير المشهورة التي دأبت على المنهج المذكور ، مع بيان الدلالة المجازية التي تخرج إليها بعض المفردات .

٣ـ وقف السيد المفسر عند أسباب النزول في الآيات التي ورد بخصوصها شيء من الأخبار مما تناقله الرواة ، وهو في الغالب يسجل ملاحظاته عليها .

٤. حرص على تتبع آراء المفسرين ، وخص العمالقة والمشهورين منهم ، ومن له رأي خاص جدير بالتأويل والدراسة ، ولم يفته تسجيل ملاحظاته بالموافقة أو المخالفة عليهم .

٥. دأب السيد فضل الله على ربط الحاضر بالماضي من طريق تفعيل القرآن الكريم في حياة الإنسان المسلم ، وتلمس الحلول لأزمات المجتمع الإنساني، مما أشار إليه القرآن الكريم ، ولذلك حرص على وضع عنوان بارز مثل (ماذا نستوحي من هذه القصة) ، أو ما أشبه ذلك .

٦ـ اعتمد على الظواهر القرآنية . لإيمانه بحجية الظهور . إلا أن يقوم دليل آخر على خلاف ذلك من عقل أو نقل[3] .

٧. كرس الطابع التربوي /الحركي في التفسير لاستيحاء القرآن واستنطاقه.

---

(١) الصواب : من طريق .

(٢) المقابلة : ٦١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٦٧ ، وفضل الله مفسرا : ٣١ .

أبحاث التفسير :

ضم التفسير أبحاثا مهمة وعميقة ومتنوعة منها :

أ . **البحث العقائدي :** إذ تناول المفسر أهم الأبحاث العقائدية مثل :

١ . المعجزة

٢ . النبوة،وأثر الأنبياء ومركزهم في الفكر الإسلامي من طريق القرآن .

٣ . العصمة وما يتصل بها من تفاصيل .

٤ . الولاية التكوينية .

٥ . الشفاعة .

فضلا عن عدد كبير من الأمور العقائدية التفصيلية التي ترد الإشارة إليها في القرآن وتناولها المفسرون .

ب . البحث الفقهي : لم يكثر المفسرون من البحث الفقهي في تفاسيرهم . عدا المخصص منها لما يعرف بالتفسير الفقهي . أما السيد المفسر فقد حرص على البحث تفصيلا وإجمالا لعدد من المسائل الفقهية من قبيل :

١ . البحث في عمل المصارف واتصاله بالربا .

٢ . الحجاب وستر المرأة ، وأحكام النظر والستر .

٣ . دخول المسجد وأحكامه .

٤ . الغناء ، والاستدلال على تحريمه بالقرآن ، وعلاقة الاستدلال على الحرمة بالسنة .

ت . البحث الفكري : هو الأهم والأكثر عمقا وتفصيلا ، وقد ظهر ذلك في تناول المفسر للكثير من القضايا وأكثرها حساسية وإشكالية ، كما في الحوار وأسلوب مواجهة الآخر ، وموقع الآخر في الفكر الإسلامي ، وأثر الإنسان وموقعه في البناء الحضاري عموما ، ومركز المرأة وأثرها في المجتمع ، كما تناول قضايا الحرية والإكراه والقهر ، فضلا عن معالجته المتنوعة في تفسير بعض التشريعات من قبيل الموقف من الارتداد ، والموقف من تشريع الإعدام .

ويمكن القول : إن الأبحاث التي تندرج في الإطار الفقهي ، لا يمكن الباحث حصرها ولا تسعه الإشارة إليها ، لأنها كثيرة جدا ، وقد دأب المفسر على تناولها

كلما سنحت له الفرصة ، وهو بصدد ما يمكن أن يكون مناسبا للتفسير ، وعلى صلة به .

ث . أبحاث علوم القرآن : إذ تناول عددا من القضايا التي تندرج تحت ما يعرف بعلوم القرآن من قبيل النسخ ، وصيانة القرآن من التحريف ، والمحكم والمتشابه وغيرها[1] .

مصادره في التفسير :

بالرجوع إلى مصادر تفسير (من وحي القرآن) يمكن تصنيفها إلى :

. المصادر التفسيرية وعلوم القرآن وتشمل :

١ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)

٢ـ تفسير العياشي المسمى كتاب التفسير،محمد بن مسعود العياشي (ت٣٢٠هـ) .

٣ . تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي (ت في القرن الثالث أو القرن الرابع الهجري).

٤ـ أسباب النزول ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) .

٥. مفردات ألفاظ القرآن ، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) .

٦ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت٥٣٨هـ) .

٧ . مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) .

٨ . التفسير الكبير (تفسير مفاتيح الغيب) ، محمد بن عمر المشهور بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) .

---

(١) ينظر : فضل الله مفسرا : ٣١ . ٣٢ .

٩ . الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) .

١٠ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) .

١١ . البرهان في تفسير القرآن ، هاشم بن سليمان البحراني (ت١١٠٧هـ أو ١١٠٩هـ) .

١٢ . تفسير نور الثقلين ، عبد علي بن جمعة الحويزي (ت١١١٢هـ) .

١٣ . تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، (ت١٣٥٤هـ) .

١٤ . في ظلال القرآن ، سيد قطب (ت١٣٨٤هـ) .

١٥ . الكاشف في تفسير القرآن ، محمد جواد مغنية ، (ت١٤٠٠هـ) .

١٦ . الميزان في تفسير القرآن ،محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠١هـ).

١٧ . البيان في تفسير القرآن ، أبو القاسم الخوئي ،(ت١٤١٣هـ) .

١٨ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي .

المصادر الحديثية :ونريد بها المصادر التي تعنى بالدراية والخبر[١] في الحديث النبوي وهي:

١ . صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) .

٢ . المحاسن ،أبو جعفر احمد بن محمد البرقي (ت٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ).

٣ . الكافي (الأصول والفروع) ، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨هـ) .

٤ . أمالي الصدوق ، علي بن الحسين ، الصدوق (ت٣١٨هـ) .

٥ . علل الشرائع ، للصدوق .

٦ . عيون أخبار الرضا ، للصدوق .

٧ . معاني الأخبار ، للصدوق .

٨ . تهذيب الأحكام ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) .

٩ . مناقب آل أبي طالب ، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ).

---

(١) ينظر : فضل الله مفسرا : ٣٤ .

١٠ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)

١١ . بحار الأنوار ، محمد باقر محمد تقي المجلسي (ت١١١١هـ) .

فضلا عن كتب أخرى متنوعة استند إليها المفسر في التفسير .

المبحث الأول

لسانيات النص ... إضاءة تأريخية

انبثقت في العقد الستيني من القرن الماضي إرهاصات نظرية تنبئ ببزوغ فرع معرفي يضاف إلى فروع علم اللغة ، يتجاوز الأطر السائدة في دراسة اللغة منظورا إليها من جهة النص بوصفه مدونة كلامية متكاملة ، ويفارق الاتجاهات التقليدية المتوجة الجملة قمة الهرم المعرفي ، بشقيه : الشكلي والدلالي ، في الدرس اللغوي آنذاك .

يعد هاريس (Z .S. Harris) من أوائل الذين عبروا عن هذا المعنى ، إذ ذهب إلى أن اللغة ((لا تأتي على شكل كلمات أو جمل منفردة ، بل في نص متماسك ، بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة))[١] .

ويشير بعض الباحثين[٢] إلى أن لسانيات النص ظهرت لتجاوز الوصف البنيوي لجمل منعزلة ، فاهتمت بالضمائر والمرجعيات ، وبالانسجام الدلالي ، والموضوعات ، والبنى الكبرى الدلالية ، وغيرها من السمات المميزة للنص .

لم يرتبط هذا العلم في نشأته ، أو تطوره ببلد معين ، أو بمدرسة معينة ، أو باتجاه محدد ، بل حاول أقطابه تلمس البدايات في أعمال لغوية محدودة ترجع إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[٣] .

وينبغي أن نشير إلى أن البحث اللغوي ظل في عمومه مقصورا على دراسة الجملة ومكوناتها إلى منتصف ستينيات القرن العشرين ، ويعزى ذلك لأسباب ((أهمها غياب النظرية اللغوية المكتوبة أو المحكية ، هذا علاوة على (كذا)[٤] أن البحث في مكونات الجملة على المستويات المختلفة التي يمكن تحديدها وتحليلها ،

---

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٢١ ، وينظر : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص (بحث) : ٤٠٨ ، ومقالات في علم اللغة السيميائي والأدب المروي : ١٣ .

(٢) ينظر : تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية ، رسالة ماجستير : ٧٤ .

(٣) ينظر : علم لغة النص،المفاهيم والاتجاهات : ١٧،ودراسات في اللسانيات التطبيقية:٥٩ .

(٤) الصواب : فضلا عن ، أو زيادة على .

أمر أيسر من دراسة العلاقات بين الجمل وتحليلها ، أو التفوهات التي تستخدم (كذا)[١] في عملية التواصل))[٢] .

وعلى الرغم من أن معظم الباحثين يميلون إلى عد لسانيات النص علما حديث الولادة نسبيا ، إن قسما منهم ميز سبع مراحل من التطور وضحت معالمه[٣] ، في حين عده آخرون مظهرا من مظاهر تطور نظرية السياق (لفيرث)[٤] .

ترجع تسمية (علم لغة النص) إلى هـ . فاينرش (H..Wenrich)[٥] ، على الرغم من ((أن مصطلح (تحليل النصوص) كان معروفا منذ فترة (كذا)[٦] طويلة ، وكذلك عبارة (تأويل النصوص)خاصة (كذا)[٧] في الدراسات اللغوية والنقدية ، إلا أن (كذا)[٨] علم لغة النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولا))[٩] .

ويمكن إجمال مسوغات توسيع البحث اللغوي ليتجاوز حدود الجملة إلى النص بما يأتي :

١. إن الكفاية اللغوية للناطقين بلغة ما لا تقتصر على إصدار أحكام على الجمل في كونها منسجمة وقواعد النحو والصرف أو غير منسجمة ، بل تشتمل هذه على قدرة أصحاب اللغة على تقويم نص قد يتكون من جملة واحدة ، أو فقرة واحدة ، أو صفحة أو أكثر من ذلك ، إذ يستطيع القارئ لنص ما ، أو المستمع لحديث ما أن يقول : إن هذا النص يؤلف وحدة مترابطة في اللغة والموضوع، أو إنه مجرد جمل غير مترابطة ، تفتقر إلى التماسك اللغوي والموضوعي .

---

(١) الصواب : تستعمل .

(٢) مقدمة في اللغويات المعاصرة : ١٩٨ .

(٣) ينظر : حبك النص (بحث) : ٤٥ ، وينظر : مدخل إلى علم النص : ٣٦ .

(٤) ينظر : موجز تاريخ علم اللغة : ٣٦٢ .

(٥) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٣٦ .

(٦) الصواب : (مدة) ، أو (حقبة) .

(٧) الصواب : ولاسيما .

(٨) الصواب : فإن .

(٩) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤٨ .

٢. هناك بعض ظواهر اللغة لا يمكن دراستها إلا بدراسة العلاقة بين الجمل التي تؤلف النص ، مثل ظاهرة الإحالة ، وظاهرة الوحدة الموضوعية للنص ، والتماسك الدلالي للنص ، والعلاقات النصية .

٣. لا تتم عملية التواصل اللغوي عادة باستعمال مفردات أو جمل منفصلة ، بل بالربط بين جمل ، أو تفوهات ، أو أشباه جمل متعددة ، وهذا واضح في سلوكنا اللغوي اليومي ، فنحن نقرأ قصة قصيرة ، أو فصلا من رواية كبيرة ، أو نقرأ سورة من القرآن الكريم قصيرة كانت أو طويلة ، وجميع هذه التجليات اللغوية تتكون في الغالب من جمل متعددة مرتبطة بعضها ببعض على نحو متماسك يؤدي إلى إيصال رسالة معينة[١] .

٤. ويمكن أن نضيف هنا مسوغا يراه سعد مصلوح ، أن (علم النص) هو المرتجى لرفع التعدد والاحتمال عن دلالات الآيات في القرآن المجيد[٢] .

كانت هذه العوامل وغيرها مسوغات معقولة للانتقال بالدرس اللغوي من كونه مقتصرا على الجملة إلى نطاق أوسع هو مستوى الخطاب المحكي والمكتوب.

ويبدو للباحث أن انمياز لسانيات النص حقلا معرفيا مستقلا ، قد تسامقت فروعه واكتملت على يد (فان دايك) الذي وضع عملين يمكن عدهما المهاد النظري لعلم لغة النص ، منظورا إليه فرعا يقدم إنتاجية دلالية لا تقدمها فروع علم اللغة الأخرى ، وأقصد عمليه (النص والسياق) ، و(علم النص) اللذين قدمهما مظهرا معرفيا للسانيات النص مع بعض الإجراءات والأمثلة التطبيقية .

---

(١) ينظر : مقدمة في اللغويات المعاصرة : ١٩٧ . ١٩٩ ، وينظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي : ٢٣٥ .

(٢) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة : ٢٣٨

المبحث الثاني

النص وعلم اللغة النصي

١. مفهوم النص في الموروث المعجمي العربي

يعد مفهوم النص في الثقافة العربية من المفهومات ذات الدلالات المتعددة ، فلو جلنا النظر في ما أوردته المعجمات العربية تحت مادة (ن ص ص) لوجدناها تدور في فلك المعنى اللغوي للنص،من غير الحديث عن المعنى الاصطلاحي للكلمة،إلا إشارات يسيرة كالتي نراها عند ابن منظور (ت٧١١هـ)،إذ يقول: قول الفقهاء : نص القرآن ،ونص السنة ، أي ما يدل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام[١].

وتدور معاني مادة (ن ص ص) في المعجمات العربية في فلك البيان والظهور والارتفاع،فالنص عند الفراهيدي (ت١٧٥هـ) هو الرفع والظهور ،يقول: نصصت الحديث إلى فلان نصا،أي رفعته...والمنصة التي تقعد عليها العروس[٢].

وهو الرفع والارتفاع ، ومن معانيه إيضاح منتهى الشيء وبلوغ أقصاه[٣] ، ومن معانيه الحركة والتحريك[٤] .

يتبين مما تقدم أن للنص دلالات متعددة متنقلة بين الدلالة الحسية والدلالة المعنوية ، ولعل الباعث وراء تنقل المفردة هو مرورها عبر مراحل التطور الدلالي ، أو بسبب تعدد اللهجات .

وتبقى الدلالة المشتركة لمفردة (نص) في معنى الكشف والظهور ، ويعزز هذا القول ، قول ثعلب (ت٢٩١هـ) : إن النص كشف وإظهار ،وكل مظهر فهو منصوص، وكل تبيين وإظهار فهو نص[٥] .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، ١٤ / ٢٧١ ، مادة (ن ص ص) .

(٢) ينظر : العين : ٨٦/٧ . ٨٧ ، مادة (ن ص ص) ، وينظر : أساس البلاغة : ٦٣٥ . ٦٣٦ ، مادة (ن ص ص) ، وينظر : تاج العروس : ٤/ ٤٣٩ . ٤٤٠ ، مادة (ن ص ص).

(٣) ينظر : القاموس المحيط : ٣٣١/٢ ، مادة (ن ص ص) .

(٤) ينظر : العين : ٨٦/٧ . ٨٧ .

(٥) ينظر : مجالس ثعلب : ١٠/١ .

ويمكن استشفاف صلة طفيفة بين الأصل اللغوي لمادة (نص) والمعنى المعاصر من قول ثعلب : كل تبيين وإظهار فهو نص ، إذ تميل الدراسات الحديثة إلى عد الإعلامية معيارا من معايير نصية النص في الثقافة المعاصرة .

٣ . النص وعلم اللغة النصي

يعد المصطلح محددا للدلالة ، ويمكن أن يفهم معناه إذا ما ذكر مفردا ، لكن تعدد الدلالة في الكلمات غير الاصطلاحية يجعل فهمها مرتبطا بالسياق ، أما الكلمات التي لها استعمال في اللغة العامة ولها استعمال اصطلاحي ، فإنها تدخل في ((الاستخدام (كذا)[١] الاصطلاحي مجالا دلاليا جديدا ، ويكون معناها ضيقا وخاصا ، فتكتسب في هذا المجال الجديد دلالة اصطلاحية محددة ومباشرة))[٢] .

وقبل الولوج في مفهومات النص وتعريفاته ، نقول إن هذه المفهومات والأطر لا تخرج عن أحد المعايير الآتية :

- كون النص منطوقا أو مكتوبا أو كليهما .
- مراعاة الجانب الدلالي .
- مراعاة التحديد المعجمي (طول النص) .
- مراعاة الجانب التداولي .
- مراعاة جانب التماسك وهو أهم المعايير التي ينبني عليها التحليل النصي
- مراعاة الجانب الوظيفي للنص[٣] .

يتفق الباحثون في هذا الاتجاه على عد النص وحدة التحليل الكبرى ، إلا أن الخلاف بينهم لا يزال بشأن العديد من الأسئلة : أ يسيرا يجب أن يكون بناء النص أم معقدا ؟ هل الخاصية الطولية لها دخل في نصية النص ؟ ما الفرق بين النص المغلق والنص المفتوح ؟أم أنهما مسميان لمعنى واحد ؟ ...الخ .

وتأسيسا على الكلام السابق يتجاذب (النص) أكثر من تعريف ، إذ يعرفه (برينكر) بأنه ((تتابع مترابط من الجمل،ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا

---

(١) الصواب : الاستعمال .

(٢) الأسس اللغوية لعلم المصطلح : ١٤ .

(٣) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢٩/١ .

ترمز إلى النص،ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة،أو علامة استفهام، أو علامة تعجب ، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبيا))[١] .

أما (هاريس) فانه يعرف الملفوظ بوصفه مفصلا كلاميا ، أي هو جزء من كلام يحد بالسكوت ، إذ يقول : إن أي جزء من الكلام يسكت المتكلم قبله وبعده هو ملفوظ ، وعليه فليس الملفوظ مساويا للجملة ، إذ إن عددا من الملفوظات يتألف من كلمة واحدة فقط [٢] ، وهذا التعريف يقترب من مفهوم (بارت) للنص[٣].

ويرتبط مفهوم النص عند بعض الباحثين ارتباطا وثيقا بالتأويل ، إذ يرى أن النص (((كون مفتوح opend end) بإمكان المؤول أن يكتشف داخله سلسلة من الروابط اللانهائية))[٤] .

وتبرز الشفاهية والتدوين أثرا مرجعيا بارزا في مفهوم محمد مفتاح للنص، إذ ينظر إليه على أنه ((مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة))[٥] .

ويبدو أثر (سوسير) واضحا في تعريف الأزهر الزناد له ، إذ يحده بوصفه ((علامة كبيرة ذات وجهين : وجه الدال ، ووجه المدلول ... والنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض))[٦] .

وهناك من الباحثين من يربط النص بالمعنى والقراءة إذ يحده ((النص : عبارة عن مدخل إلى شبكة لا تحصى من المعاني ، تتبدل آفاقها باستمرار تبدل القراءات الممكنة))[٧] .

---

(١) علم اللغة والدراسات الأدبية : ١٨٧ . ١٨٨ .

(٢) ينظر : مقالات في علم اللغة السيميائي والأدب المروي : ١٢ .

(٣) ينظر : هسهسة اللغة : ٢٨ .

(٤) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : ٤٢ ، وينظر : نصيات : ١٢٩ . ١٣٠ .

(٥) تحليل الخطاب الشعري : ١٢٠ .

(٦) نسيج النص : ١٢ .

(٧) النقد والدلالة : ٥٢ .

ويرى البحيري أنه ((مجموعة من الأفعال الكلامية التي تتكون من مرسل للفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال بينهما ،وهدف يتغير بتغير مضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل))[١] .

وهذا تلخيص لمفهوم ياكبسون في خطاطته المشهورة .

ويذهب السعران إلى أن أي نص كلامي . ملفوظا كان أو مكتوبا . لا يوصل إلى معناه الكامل بدراسته وحده مستقلا ، أي بدراسته من الناحية الصوتية ومن الناحية النحوية ومن الناحية المعجمية ، بل يجب أن تدخل في تقدير معناه عناصر أخرى ، تكون والعنصر الكلامي كلا متكاملا ، فمن الواجب الاهتمام بالمسائل الآتية :

١. ما للمشتركين في الموقف الكلامي من خصائص متصلة به .
٢. الموضوعات (الأشياء) المتصلة بالموقف الكلامي ، كالمكان الذي يجري فيه الكلام أو الجو الكلامي ...الخ .
٣. أثر النص الكلامي في المشتركين،كالإقناع أو الضحك أو الألم...الخ[٢]

ويمكن الباحث أن يقدم مفهوما عن النص على أنه (العمل اللغوي الذي يقوم بوظيفة اتصالية معينة ، ذات إنتاجية تواصلية بين المنتج والمتلقي ، عبر قناة اتصال محددة ، يكون قيمة ما داخل ثقافة معينة) .

وفي الحقيقة كما يرى (سوينسكي) ، أن لكل إنسان مثقف إلى حد ما تصورا للنص ، مرتبط لغويا بالمحيط الذي يعيش فيه[٣]، ويرى بعض الباحثين أن النص أصبح الآن مجالا أو منطقة مشتركة بين علم اللغة والأسلوبية والنقد الأدبي بدرجة اكبر من أي وقت مضى[٤] .

---

(١) علم لغة النص : ١٠٠ .
(٢) ينظر : اللغة والمجتمع : ٣٠ .
(٣) ينظر : علم لغة النص : ١٨ .
(٤) ينظر : علم اللغة والدراسات الأدبية : ١٨٣ .

أما فيما يخص مفهوم (علم اللغة النصي) فلا يوجد تباين في الآراء فيه بالصورة نفسها التي ظهرت في النص كما قد سلف ، وتتفق التعريفات تقريبا على أنه : فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنظومة والمكتوبة ...وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النصوص ، وترتبط فيما بينها للإخبار عن الكل المفيد[١] .

وذهب بعض الباحثين[٢] إلى أنه ((الدراسة اللغوية لبنية النصوص)) ، وهذا التعريف يخل بأهم مكونات النص ومعايير النصية ألا وهو التماساك بشقة الآخر، أي التماسك الدلالي الذي لا يتأتى من طريق الأبنية اللغوية فقط ، وإنما من طرق أخرى كما سوف يأتي .

ويمكن القول : إن علم لغة النص : هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة ، الذي يهتم بدراسة النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى ، ودراسته من جوانب متعددة أهمها الترابط أو التماسك ، ووسائله ، وأنواعه ، والإحالة أو المرجعية وأنواعها ، والسياق النصي ، والعلاقات النصية ، والبنى النصية الكبرى ، والعلاقة التواصلية بين المنتج والمتلقي ، والتأثير الذي يتركه النص عند المتلقي القادر على فك رموزه إذ لا وجود لدليل على قصر النحو على الجملة فقط ...فدراسة تركيبات النص تساعد على الوصول إلى الفهم العميق لتركيب الجمل الفردية [٣] . ويكمن السر في عدم استقرار مفهومات النص وعلم اللغة النصي إلى أمور متعددة هي :

أولا : التماس بين علم اللغة وغيره من العلوم[٤] .

ثانيا : تعدد معايير نصية النص ، أ معايير شكلية هي أم معايير دلالية ، أم هي معايير شكلية ودلالية معا ؟ وغيرها من المعايير .

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/٣٤ . ٣٥ .

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١/٣٥ .

(٣) ينظر : علم اللغة والدراسات الأدبية : ١٨٥ .

(٤) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٥٩ .

ثالثا : عدم اكتمال تطوير نحويات النص ، لأن عدم اكتمالها يعني عدم اكتمال العلم ، مع الإشارة إلى أن الكلمة الأخيرة من أي علم من العلوم أمر يصعب الحسم فيه، ولكن نقول على وجه التقريب لا الحسم النهائي والكلمة الأخيرة .

ويمكن القول إن ((تحديد مشروعية اللسانيات يمر عبر تمييزها عن (كذا)[١] باقي العلوم المجاورة ، ومما لاشك فيه أن للسانيات علاقة وثيقة جدا بعلوم أخرى وتعير تلك العلوم اللسانيات بعضا من معطياتها ، كما تأخذ بدورها بعضا من معطيات اللسانيات))[٢] .

(١) الصواب : من .

(٢) مدخل للسانيات سوسير : ١٧ .

المبحث الثالث

أهمية علم اللغة النصي ووظيفته

يتفق معظم الباحثين على أن وظيفة علم اللغة النصي تنحصر في أمرين أساسيين هما :

أولا : الوصف النصي T. D.SCRIPTION

ثانيا : التحليل النصي T .ANALYISS[١]

وترتبط هاتان الوظيفتان بالمتلقي ارتباطا وثيقا ،لأثره الأساس في تفكيك النص والكشف عن شفراته الداخلية ، وبيان أنظمة العلامات التي يتكون منها ، من طريق التواصل المعروف بين المنتج . النص . القارئ .

ويشير باحث معاصر إلى أن علم لغة النص لا يقتصر على مجرد تنظيم المستويات اللغوية حسب ، بل تعدت مهمته إلى تحديد أوجه الاتصال وأطرافه ، وشروطه ، وقواعده ، وآثاره ، وأشكال التفاعل ومظاهره ، وعلاقته بمعايير النصية ، ولاسيما الربط ، والتماسك ، والإبلاغية ، والمقصدية ، وتعيين مستويات الاستعمال واوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية ، وسماتها المشتركة والفارقة[٢] .

وينص صلاح فضل على أن مهمة علم النص تتمثل في ((وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام (كذا)[٣] اللغة ،كما يتم تحليلها في العلوم المتنوعة))[٤].

والبحث في توظيف النصوص عند (فان دايك) يعني تحليل خصائص معرفية عامة ، تمكن من فهم معلومة نصية ، وكيفية تفسيرها ، وكيف يكون السياق محددا لبنية النص[٥] .

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٥٥/١ .

(٢) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص (بحث) : ١٣٥ .

(٣) الصواب : استعمال .

(٤) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤٧ .

(٥) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة (بحث) : ١٣٨ .

((ونلحظ في إجابة (كوزريو) عن التساؤل (كذا)[١] السابق إشارة إلى مهمة معقدة أسندت إلى علم لغة النص ، يقول : إن علم لغة النص . في رأيي . في الحقيقة ليس شيئا غير القدرة التأويلية ، ونظرية علم لغة النص ليست شيئا غير المقدرة التأويلية ،ونظرية علم لغة النص ليست شيئا غير نظرية التأويل والتفسير، وذلك باعتبار (كذا)[٢] أن علة إنشاء هذا العلم تقوم على الحقيقة القائلة : بأن (كذا)[٣] الأمر يتعلق مع النص حول مستوى مستقل عما هو لغوي ، ولا يمكن أن يوضحه مستوى الكلام وحده ، ولا مستوى اللغة المنفردة))[٤] .

وعلى الرغم من أن هذا الكلام دقيق إلى حد ما ، إن (كوزريو) جانب الصواب حينما عد التأويل الحقل المعرفي المعبر عن لسانيات النص ، وإقصاء كل ماعداه من حقول معرفية يتداخل بعضها مع بعض لتؤسس مفهوم (لسانيات النص) ، فضلا عن ذلك ،عدم تفريقه بين التفسير والتأويل وعدهما مفهوما واحدا، وهو خلاف التأصيل الإسلامي لهذين المفهومين[٥] .

وذهب بعض الباحثين إلى أن أهمية علم لغة النص تتجلى في استنباط نظرية النص المتكاملة ، والتعرف الدقيق لعناصر التوسط من المعطيات غير اللغوية ، وعوامل التواصل من جهة ، وإمكانات التعبيرات اللغوية المناسبة كما في النصوص من جهة أخرى[٦] ، ولم تتوقف الدراسة النصية عند الدراسة المجردة لظواهر النص المفردة ، بل تحاول التعريف المناسب بكليات النص ، ويمكن أن نستنتج من تلك الجهود ما يأتي :

---

(١) الصواب : السؤال .

(٢) الصواب : بسبب .

(٣) الصواب : إن .

(٤) اتجاهات لغوية معاصرة : ١٣٩ .

(٥) لمعرفة الفرق بين التفسير والتأويل ينظر : علوم القرآن عند المفسرين :٢/٢٠٣ . ٢٢٠ ، وينظر المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته : ٤/ ٢٢٧ .

(٦) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ١٠٦ .

١. أثبت علم اللغة النصي الآن نفسه بوصفه حقلا علميا مستقلا ، لنصوص ، أصبحت موضوع بحث مركزي في الدراسة اللغوية بأبنيتها وشروطها الوظيفية .

٢. أمكن إيضاح كثير من المشاكل المفردة على نحو مرض ، وتقديم إسهامات حلول مختلفة لتبيين وظيفة النصوص[١] .

ويعنى علم لغة النص بالظواهر التي تتجاوز إطار الجملة المفردة ، التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا ودقيقا إلا من طريق ما سمي بالوحدة الكلية للنص ، ومن هذه الظواهر ظاهرة (الترابط النصي) التي تعتمد على تصور يجمع بين عناصر نحوية تقليدية وعناصر أخرى تستقي من علوم أخرى متداخلة[٢] .

وبنظرة إجمالية للمنجز اللساني العالمي على اختلاف مدارسه واتجاهاته بدءا من فرديناند دي سوسير وصولا إلى لسانيات النص ، نجد أن البحث اللغوي عند الأجناس والأقوام البشرية . على تعدد الألسن وتنوع اللغات . يمثل جانبا مهما يتيح للبحث المعرفي التداخل والتمازج بين مختلف النظريات وجدوى تطبيقها ، وان كانت بدرجة متفاوتة في صلاحيتها وجدواها ، ولاسيما في المجال الدلالي الذي يتيح إمكانية إنتاجية أكثر بتعدد الرؤى والنظريات ، وهذا ما يمكن استشفافه من أهمية علم لغة النص ، ومن الجانب التطبيقي على ما سنرى في الفصلين الثاني والثالث ، بغض النظر عن جذور العلم المروم التعامل معه ، المهم هو الإفادة من آلياته في بيان دلالات وإضاءات ، تتيح فهم النص والوصول إلى مقترباته بدرجة أكثر مما يتيحه الوقوف عند المناهج التقليدية لقراءة النص وفهمه وتفسيره ، وبذا لا يسلم الباحث بما ذهب إليه باحث معاصر من ((أن البحث الألسني بحث أوجدته ظروف اللغات الأوربية ، وهذا ما يجعلنا في موقف رفض لكل ما يراد من الباحثين المعاصرين أن يسلكوه أو يتعاملوا به مع العربية))[٣] .

---

(١) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النص : ١٠٥ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١١٠ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٥٠ .

(٣) مباحث في علم اللغة واللسانيات : ٢٢٠ .

المبحث الرابع
الجملة والنص

تمثل وجهة نظر بوجراند /درسلر فيما يتعلق بضرورة التحول من دراسة الجملة إلى دراسة النص ، مبدأ مقبولا بين كثير من علماء النص وهو ما يعكسه قولهما : إن المعنى الكلي للنص أكبر من مجموع المعاني الجزئية للمتواليات الجملية التي تكونه ، ولا تنجم الدلالة الكلية عنه إلا بوصفه بنية كلية كبرى ، فالنص ينتج معناه بحركة جدلية أو تفاعل مستمر بين أجزائه[١] ، وليست الجملة إلا وحدة بنائية صغرى في منظومة كبرى وهي الفقرة ، على رأي أحد الباحثين ، ومن ثم فانه لا يمكن إغفال السابق واللاحق على هذه البنية في توجيهات النص وفهمه ، وكل ذلك يقع في داخل إطار العلاقات السياقية[٢] .

ولكي تكتسب الجملة قيمة أكبر من قيمتها المباشرة والمحددة في عملية التواصل ، لابد من ارتباطها بجمل أخرى ، ومع ذلك ، فليست الجملة وحدة نظرية، فنحن نباشر كمال الخطاب مهما بلغ من الطول ، من طريق سلسلة ممتدة من الجمل نواجهها على نحو من النظام الذي رتبت فيه[٣] .

والنص يتألف من سلسلة من الجمل التي يخدم بعضها بعضا الهدف العام من النص ، وعندما نتناول نصا ، فإننا نتعرف سلسلة من الكلمات ،وأشباه الجمل، والجمل ... الخ .

والعلاقة بين علم اللغة النصي وعلم لغة الجملة علاقة تكاملية ((حيث (كذا)[٤] ينظر إلى دراسات علم اللغة الجملي على أنها تمهيد ضروري لأبحاث علم

---

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٤١ .

(٢) ينظر : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية : ١٦٠ .

(٣) ينظر : مقدمة في نظريات الخطاب : ٣٠ .

(٤) الصواب : إذ .

اللغة النصي من جهة ، لكنها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة الجملي الأكثر شمولا))[١] .

وعلى الرغم من أهمية الجملة في التحليل ، إن الوقوف عندها فقط يحرم النص روعته وجماله ، ويحرمه كذلك من علاقات العناصر داخل الجملة المتصلة فيه ، علاقات التماسك والضمائر وما تعود إليه ، والتوجيهات البلاغية التي تكون صوره الفنية ، فضلا عن انه يهمل العناصر المحيطة بالنص تماما[٢] .

ويذكر بوجراند ما يسميه الفارق الجوهري بين الجملة والنص ، وهي أمور متعددة :

١. إن النص نظام فعال على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي ، ويتبع ذلك أن النص ليس مجرد منزلة مختلفة عن الجملة ، فقد يكون النص أكثر من كلمة واحدة ، وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من شروط مثل علامات الطرق ، والإعلانات ، والبرقيات ونحوها .
٢. الجملة كيان تقعيدي خالص يتحدد على مستوى النحو حسب ، أما النص فيعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية ، كالاتساق ، والانسجام ، والقصد ، ورعاية الموقف ، والإعلامية .
٣. إن تمييز ما يطابق القواعد النحوية مما لا يطابقها ، تمييز تقابلي ثنائي، حينما تكون ثمة قواعد دقيقة وكاملة لضبط الجمل ، فالحكم بأن تركيبا ما يعد جملة ، يتم بموازنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية ، أما تمييز ما يعد نصا مما لا يعد نصا ، فلا يتم بمثل هذه المقارنة الآلية . فكون النص مقبولا أو غير مقبول ، يتم بحسب درجة معقدة ، لا بحسب تقابل ثنائي .
٤. ينبغي للنص أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقفات والمعارف ، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف (Contkt

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٨ .

(٢) ينظر : المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي : ٣٥٥ .

Satution) . ويمكن المرء من جهة أخرى أن يخطط جملا لا يمكن أبدا أن ترد بلا تكلف ، إما لكونها أطول ، أو أكثر توابع ، أو أكثر ابتذالا مما يتم قبوله ، أو لكونها فارغة من المعنى ،أو غير ذات اثر عملي في الأداء .

٥. لا يمكن النظر إلى النص على انه مجرد صورة من العلاقات اللغوية أو الرموز ، إن النص تجل لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصا، ويوجه سامعيه إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة ، وليست الجملة عملا ، ولهذا كانت ذات اثر محدود في المواقف الإنسانية ، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية حسب .

٦. النص توال من الحالات كالحالة المعلومية ، والحالة الاجتماعية ، والحالة الانفعالية ، وهذه الحالات عند مستعملي النص عرضة للتغيير بوساطة النص .وفي المقابل نجد أن الجمل عناصر نظام ثابت متزامن، أي نظام يرى في حالة واحدة مثالية مفارقة للتطور .

٧. إن النصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل الأخرى ، إذ يعتمد متعلمو اللغة في استعمال الجمل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي ، أما لأجل استعمال النصوص ، فان الناس بحاجة إلى معرفة عملية الأحداث الجارية بخصوصها ، وتنطبق هذه الحالة من التناص على الملخصات، ومسودات الموضوعات ، والاستطرادات ، والإجابات ، وغيرها من الأمور[١] .

ويفرق تمام حسان بين نحو الجملة ونحو النص بالمفهوم المعتمد لديه ، وخالصة قوله في هذا المقام :

١. إن النمطين يختلفان بخاصية الاطراد ، إذ يعترف نحو النص بالمؤثرات الأسلوبية ، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليدل بها على

(١) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ٨٩ . ٩٤ .

لفتة ذهنية ، أو ليثير بها انتباه المتلقي ، والمعروف أن المؤشرات الأسلوبية لا تأتي على نسق واحد مطرد .

٢. والنمطان مختلفان . عنده . بخاصية المعيارية : فنحو النص أبعد ما يكون منها ، لأنه تطبيقي غير نظري ، فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص ، وبعد أن يكون النص حاضرا ومتعرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته .

٣. والنمطان يختلفان بخاصية الإطلاق ، لأن نحو النص لا يطبق على كلام قبل أن يصاغ هذا الكلام ولا في أثناء صياغته .

٤. أما اختلاف النمطين بحسبان اقتصار أولهما على معالجة العلاقات داخل الجملة من غير الثاني ، فهو أمر أبلج وضوحا من أن يستدل له أو عليه[١] .

أما ما يشترك فيه النمطان ، فيستظهر (تمام حسان) صفتين يرى أن النمطين كليهما يشتركان فيهما وهما : التضام والاتساق ، فالصفة الأولى تتناول اللفظ ، على حين تتناول الثانية المعنى ، فالتضام علاقة تشمل أمورا مثل الافتقار، والاختصاص ، والتلازم ، والمطابقة ، وعود الضمير ، والداخل والمدخول وهلم جرا . والاتساق علاقة بين المتقايسين تجعل أحدهما غير الآخر ، فلا وجه لجملة فعلية مثل (فهم الحجر) ، ولا لجملة اسمية مثل (السماء تحتنا) فذلك غير مقبول في الظروف الاعتيادية لاستعمال اللغة ، وقد يكون مقبولا في المواقف غير المعتادة ، كإرادة السخرية[٢] .

(١) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة : ٢١٦ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢١٧ .

المبحث الخامس

النص والمعنى

تولي الدراسات اللغوية الحديثة اهتماما خاصا بدراسة المعنى يقويه ويدعمه أن المعنى في نظر هذه الدراسات يمثل جوهر اللغة ، فضلا عن أن بعض المناهج والمدارس توفرت على تشخيص (المعنى) بوصفه ركنا مهما من أركان التحليل اللغوي[١] .

ويرى سعد مصلوح أن كل دراسة لغوية ، لا في الفصحى فقط . بل في كل لغات العالم . يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى ، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة[٢] .

وإذا كانت ((اللغة وعاء للمعنى يصب فيها وتدل عليه))[٣]،لذا من الضروري استعمال الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة ، للوصول إلى المعنى في صورته الشاملة .

وعد . فيرث . دراسة المعنى السبب الأصلي لوجود علم الألسنية ، فالمعنى يتجلى في البنى اللغوية ، وجاذبيته المتعالية تغري الباحثين بمظاهره أملا بمعرفة جوهره[٤] .

وقام (غيوم) بتحليل مثمر عندما عارض بين (المعنى) في اللغة ، وآثار المعنى في النص ، وبين أن كل إشارة إنما تحدد بوساطة قيم هي إمكانات المعنى، تحددها بنية النسق ، وإن كل نص يتخذ بعض هذه القيم ، لكي يولد أثرا خاصا[٥]، فالدلالات تولد بالصياغة ، وتولد أكثر تخصصا في حركة انتظام البنية لتشكيل العلاقات فيما بينها[٦] .

---

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٨ ، ومنهج البحث اللغوي : ١١٧ .

(٢) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة : ٢٢٨، واللغة بين المعيارية والوصفية :١١٦.

(٣) النحو العربي دراسة نصية : ١٣٤ .

(٤) ينظر : الخطاب والمترجم : ٥٥ ، ومراهنات دراسة الدلالات اللغوية : ٧ ، وينظر أساسيات اللغة : ٥٣ .

(٥) ينظر : الأسلوب والأسلوبية : ٧٥ ، والسيمياء والتأويل : ٨٥ .

(٦) ينظر : في معرفة النص : ٨٢ .

وترتبط الدلالات ارتباطا وثيقا في النص ، فلا فصل بينهما إلا على المستوى النظري ، وإذا ما عرض نص للدراسة ، فإن الدلالة فيه هي مجموع هذه الدلالات ((فلا بد من ملاحقة هذه الدلالات متضافرة متماسكة))[١] .

وحين يعنى نحو النص بمسائل تكوين النص أساسا ، لا تهتم دلالة النص بالعلاقات التي يمكن تحقيقها لغويا حسب ، ومن ثم العلاقات الدلالية والبنى الكلية في نص ما ، بل بفهم النص أيضا بوجه عام ، (ففهم النص . في الحقيقة . مفهوم علوي يتضمن مكونات خاصة ببراجماتية النص ، وكذلك عوامل غير لغوية كثيرة))[٢] ، على أن فهم المتتاليات اللغوية،والجمل النصية المركبة ، يقتضي عددا من الملامح البارزة،ويأتي في مقدمتها . طبقا لآراء علماء النص المحدثين . أن عمليات التكوين تتجه بصفة خاصة إلى المجال الدلالي ، أي تسجيل المعلومات المتصلة بالمضمون المأخوذ من الجمل والمتتاليات ، تلك المعلومات الصوتية ، أو الصرفية ، أو المعجمية ، أو النحوية ، وإن كانت هذه أدوات يتم من طريقها تكوين البيانات الدلالية والتعبير عنها[٣] .

والبحث في علم لغة النص بحث عن المضمون ، ويرى النصيون ، أن المعنى الكلي للنص هو أكبر من مجموع المعاني الجزئية للمتواليات الجملية التي تكونه ، ولا تنجم الدلالة الكلية له إلا بوصفه بنية كبرى شاملة ((فالنص ينتج معناه بحركة جدلية أو تفاعل مستمر بين أجزائه))[٤] .

ويمكن القول : إن المعاني تتحرك داخل النص في اتجاهات متباينة تشكل نسيجا متشابكا يصعب تفكيكه من غير اتصال مباشر بمفاهيم جامعة ، تحرص على الحفاظ على ذلك التكوين الكلي الموحد ، لذا أصبح المعنى هو الغاية التي تتعاضد مستويات التحليل المختلفة سعيا إليه ، ومن ثم كان شغل علماء النص الشاغل ، يضعونه نصب أعينهم ولا يحيدون عنه قيد أنملة[٥] .

---

(١) ينظر : اللغة العربية بين الفهم وسوء الفهم : ١٦٤ ، وجدل اللفظ والمعنى : ٤٧ .

(٢) مدخل إلى علم النص : ٧٤ ، وينظر : جدل اللفظ والمعنى : ٢٩ .

(٣) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٣٥ ، وينظر : مبادئ اللسانيات : ٢٤ . ٢٥ .

(٤) مباحث تأسيسية في اللسانيات : ١٢٧ .

(٥) ينظر : جدلية الإفراد والتركيب : ١٥٤ ، واتجاهات لغوية معاصرة : ١٣٥ .

ويطرح (كوزريو) العلاقة بين النص والمعنى من طريق تصوره لعلم لغة النص على ((أنه علم لغة المعنى))[١] .

وحاول (ايجور ملتشوك) معالجة العلاقة بين المعنى والنص في إطار نظرية نصية فحواها : أن الانفعال بين المعنى والنص ينبغي أن يكون العملية المركزية للأنموذج اللغوي،أي إن السؤال الأساس هو : كيف يعبر عن معنى ما في نص ما ؟ أو كيف يتحقق المعنى من النص؟ فالمعنى . إذن . يجب أن يكون متجليا في قدرة (كفاية) المتكلم أن يعبر عن الفكرة نفسها بطرائق مختلفة، وفي قدرة المستمع (المتلقي) على تفكيك رسالة الباث من خلال الكفاية التفسيرية التي يملكها . آليات ومرجعيات . للوصول إلى فكرة النص الجوهرية[٢].

ويذهب (فان ديك) إلى أن المعنى يقدم وصفا على مستوى المفردات والتراكيب وأثرها في تكوين المعنى العام للنص ، ويقدم مستوى آخر من مستويات إدراك البنى التي يمكن أن تعبر عنها جمل أو نصوص مختلفة[٣] .

ولا تقاس وحدة النص بظواهر سطحية على رأي (هايتمن وفنفجر) ، ولكنها تقاس بالبحث عنها في البنية الدلالية الأساسية التي تكشف عنها المسائل الدلالية الكبرى للبنى المركبة[٤] .

والدلالة في النص تتخذ وفقا لشرطين : من داخل النص ومن خارجه، يتمثل الأول في أن المعنى لا يحصل إلا في نطاق علاقات سياقية ، وفي الثاني، لا يصبح هذا المعنى دلالة إلا عند ارتباطه بالإحالة (Reference)،ومن هنا فان الوظيفة الدلالية تتسم أفقيا على مستوى سياقي ، وعموديا على مستوى مرجعي[٥].

ويترتب على الكلام السابق أننا ندرس في الملفوظ القرائن التي تكشف عن ((ظروف إنتاج الملفوظ وحقيقة الدلالة فيه))[٦] ، وهذا ما يجعلنا نعنى بدلالة فعل الكلام

---

(١) علم لغة النص : ٦٢ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٦ .

(٣) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٥٠ .

(٤) ينظر : حبك النص (بحث) : ٥٥ .

(٥) ينظر : اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : ١٢٤ ، والمرجع والدلالة : ٣٣ .

(٦) اللغة والدلالة : ٩ ، وينظر : التباين وأثره في تشكيل النظرية اللغوية : ٣٥٢ .

، أو بشكل أدق بمحتوى معنى القول[١] .

وتتجسد هذه القرائن في المعنى الذي يربطها بالوجود العام للنسيج ، وهذا النسيج إنما هو شبكة الدوال والمدلولات التي تجسدها الصياغة ، فضلا عن فهم القرائن التي تحيط بالنص لبيان أبعاده الدلالية[٢] .

وتمثل (بؤرة معنى النص) وجهة النظر المحورية التي تدور فيها جميع معطيات النص ، ومن المهم جدا تشخيص هذه البؤرة ، وفهم النص بعده بناءا يقوم على هذا الأساس ، ولا يمكن تشخيص بؤرة المعنى بطريقة منهجية بغير معايير ولا أساليب دقيقة ، فلا ((يستطيع تفسير النص إلا الذي يؤمن بوحدة النص ، ويعتبره (كذا)[٣] كيانا واحدا يفيد معنى عاما تاما ، بالإضافة إلى (كذا)[٤] المعاني المستقلة للمفردات والعبارات ...ووحدة النص و تمامه ، رهين (كذا)[٥] بنواة وبؤرة المعنى (كذا)[٦] ، فهي التي تعطي النص وحدته وتمامه ، ولهذا لا يمكن فهم المعنى التام للنص إلا باكتشاف بؤرة معناه))[٧] .

ويبدو للباحث أن (تودروف) قد جانب الصواب ، عندما رأى عدم إمكانية اختصار الدلالة إلى ما يعرف باسم (معنى الرسالة) أي مضمونها الإبلاغي[٨] ، ولاسيما إذا عرفنا أن العلامة اللغوية في الأساس فهم المعنى بشكل عام[٩] .

---

(١) ينظر : من النص إلى الفعل : ١٤٤ .

(٢) ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٤٤ ، وينظر : علم اللسانيات الحديثة : ٥٤٣ .

(٣) الصواب : يعده .

(٤) الصواب : فضلا عن .

(٥) الصواب : رهينة .

(٦) الصواب : بنواة المعنى وبؤرته .

(٧) هرمنيوطيقا الكتاب والسنة (بحث) : ١٠٣ ، وينظر : الوظائف التداولية : ٢٨ .

(٨) ينظر : الأدب والدلالة : ٩ .

(٩) ينظر : مباحث الدليل اللفظي : ٧١/١ .

المبحث السادس

معايير النصية

النصية هي الشرط الذي يكون النص طبقا لها نصا ، فنص ما هو نسيج مركب من العلاقات ، وكان سؤال علماء النص باستمرار ما النص ؟ وما المعايير التي يكون بها الكلام نصا أو لا يكون ؟ واختلفت الإجابات وتعددت ، وكثرت المعايير التي تحدد النص[١] .

ويمكن القول : إن معايير النصية هي : ((المكونات التي تجعل النص كلا موحدا متماسكا دالا ، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة))[٢] ، أما المعايير التي لا يكون النص نصا إلا بها،فهي . حسب بوجراند/درسلر . سبعة معايير مجتمعة،ويزول هذا الوصف إذا أخل بواحد من هذه المعايير وهي[٣]:

١ . السبك (الربط) :

يترتب على إجراءات تبدو فيها العناصر السطحية وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، إذ يتحقق لها الترابط الرصفي ووسائل التضام ، يشتمل على هيئة نحوية للتراكيب والجمل ، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية ، والأدوات والإحالة والحذف والروابط وغيرها[٤] .

ويعنى هذا المعيار بوسائل ربط سطح النص ، إذ إنها تترابط بعضها ببعض في علاقات لفظية ، وقواعد نحوية في المقام الأول ، تتحدد في حقيقة الأمر من أوجه التبعية النحوية في المستوى السطحي ، بيد انه يجب أن نشير إلى أن تحديد الربط على انه علاقة نحوية بين وحدات النص ، يعني تجاوزه لـ((علاقات الربط التبعية داخل الجملة إلى العلاقة بين الجمل والمتواليات ، إذ إن النص هنا ليس

---

(١) ينظر حول هذه الاختلافات : علم لغة النص : ٩٩ وما بعدها .

(٢) حبك النص : ٥٤ .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٤ .

وحده نحوية ، بل هو وحدة علامية ، ومن ثم تكون علاقات الربط النحوية جزءا من علاقات تبعية كبرى))[١] .

ويتحقق الاعتماد كما حصره . مصلوح . في شبكة هرمية متداخلة هي :

١. الاعتماد في الجملة .
٢. الاعتماد فيما بين الجمل .
٣. الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .
٤. الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .
٥. الاعتماد في جملة النص[٢] .

وينقسم الربط على قسمين : ربط لفظي ، تستعمل فيه روابط منطوقة مثل الروابط النحوية المعروفة ووسائل أخرى كالتكرار ، وعودة الضمير ، والإحالة ، ورابط ضمني ، يعدل المتكلم فيه عن استعمال الرابط اللفظي ، معتمدا على قرائن سياقية تبرز الترابط وتحقق له الاستمرارية في داخل النص[٣] .

٢ . الالتحام :

وهو المعيار الذي يتطلب مجموعة من الإجراءات التي تنشط عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشمل وسائل الالتحام :

- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص .
- معلومات عن تنظيم الأحداث ، والاعمال ، والموضوعات ، والمواقف.
- يتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص ، مع المعرفة السابقة[٤] .

---

(١)اتجاهات لغوية معاصرة (بحث) : ١٧٠ .

(٢)ينظر : نحو اجرومية النص الشعري (بحث) : ١٥٤ .

(٣) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧١ . ١٧٢ .

(٤) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

ويتعلق هذا المعيار بمكونات النص ، فهو ترابط مفهومي . دلالي يبين بنى النص ، يمكن أن ينتج في النهاية (بنية مضمونية معرفية) تحقق الوحدة والتركيب[١] .

ويوصف هذا المعيار بأنه المعيار المحوري من بين المعايير الأخرى ، إذ لا يتداخل مع المعايير الأخرى فقط ، بل يكاد يطغى عليها ، لذا عده (بوجراند) الأساس المحوري للنص حينما لا تنجز المعايير الأخرى[٢] .

٣ . القصدية :

ويتضمن موقف منشئ النص ، بوصفه صورة من صور اللغة ، ووسيلة من الوسائل للوصول إلى غاية بعينها[٣] ، ويرى البحيري ((أن القصدية تعتبر (كذا)[٤] الشرط الثالث من الشروط الأربعة الجوهرية اللازمة لوصف نص ما بالنصية ، القصدية . إذن . شرط أساس لكل نوع من أنواع التواصل))[٥] ، ومفهوم القصد المتعارف عليه في (نحو النص) هو : اعتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تؤلف نصا مسبوكا محبوكا [متضاما متسقا على حد اصطلاح (حسان)] يكون أداة لتحقيق مقاصد المنشئ ، كأن يحقق معرفة أو هدفا آخر[٦] .

٤ . القبول :

ويتضمن موقف مستقبل النص في إزاء كون صورة ما من صور اللغة ، ينبغي لها أن تكون مقبولة على أنها نص في السبك والالتحام[٧] ، والقصدية والمقبولية معياران يختصان بمستعمل اللغة . متكلم ومتلق . في مقابل معياري الربط

---

(١) ينظر : الخطاب والمترجم : ٣٠٨ .

(٢) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٣ .

(٤) الصواب : تعد .

(٥) اتجاهات لغوية معاصرة : .

(٦) ينظر : في اللسانيات العربية : ٢٣٢ .

(٧) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

والتماسك اللذين يختصان بالنص نفسه ، ويتسم هذا المعيار . إلى حد كبير . بالذاتية ، إذ كما يختلف التلقي من شخص إلى آخر ، تختلف وجهات نظرهم في تقدير النصوص ، وهذا يؤدي إلى نسبية معيار المقبولية فهي ((تتعلق كذلك بمناسبة الوسائل اللغوية المستخدمة (كذا)[١] أي بنوع الأسلوب ووسائل تزيينه وأشكال التنوع اللغوي))[٢] .

٥ . رعاية الموقف (الموقفية) :

ويتضمن هذا المعيار العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه ، إذ يأتي في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره[٣] ، ومعنى أي نص . على وفق هذا المعيار . لا ينتج على نحو آلي ، وإنما على الأرجح ، من طريق تفاعل بين معرفة كافية في النص ومعرفة مختزنة في العقل ، أو بين النص وبنية العالم في داخل سياقات ومقامات متغيرة ومتعددة ، وقد طرح في هذا المقام سؤال مهم تحدد الإجابة عنه قيمة هذا المعيار ، والسؤال : أنص يعد النص غير المناسب للموقف أم غير نص ؟ والحق أن الإجابة عن هذا السؤال ليست سهلة ، ولكنها تؤكد ضرورة البحث في العوامل التي تجعل من نص ما مناسبا لموقف أو سياق التواصل[٤] .

٦ . الإعلامية . الإخبارية . :

تتداخل في هذا المعيار العوامل اللغوية وغير اللغوية أيضا ، إذ يختص بنوع المعلومة التي يقدمها النص ؛ ولذا يتوقف عليه عامل التأثير ، ويختص بتوقع عناصر النص ، أو عدم توقعها ، بمعرفتها أو عدمها على ما يرى (بوجراند)[٥].

---

(١) الصواب : المستعملة .

(٢) اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٨ .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .

(٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٨٠ .

(٥) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٥ .

وتجدر الإشارة إلى أن الاخبارية تتعلق بتشكيل ثيمة النص (موضوعه) ، إذ تعد ثيمة النص تكثيفا أو تجريدا لمضمونه ، ويمكن أن ينظر إلى وصف النشاط أو الحركة التي ينتجها النص باختصار المقاصد المعبر عنها لغويا وتجريدها أو تكثيفها بأنه عملية تشكيل لثيمة النص ، أي (موضوعه)[١] .

٧ . التناص :

هو ((تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة))[٢] ، ويتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به ، في حدود تجربة سابقة ، سواء بوساطة أم بغير وساطة ، وتقوم الوساطة بصورة أوسع حينما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة[٣] ، ويتعلق هذا المعيار بالعلاقة المتبادلة بين النصوص في المقام الأول ، ويمكن أن يقع التناص بين نصوص المبدع بعينه ، فيكون داخليا ، إذ تفسر نصوصه بعضها بعضا ، أو نصوص عدد من المبدعين (أو مبدع وآخر أو آخرين) فيكون خارجيا ، ويتطلب حينئذ معرفة واسعة بالنصوص سابقها ولا حقها[٤] .

وينماز هذا المعيار . لكي يكتشف . بضرورة توافر المتلقي على ثقافة واسعة ومعارف متنوعة لكي يستطيع بيان مورد التناص وآلياته .

وهذه المعايير التي ذكرنا ليست جديدة بطبيعة الحال ، ولكن تناولها جاء متفرقا ومدمجا حتى جمعها بوجراند بشكل منهجي واضح .

ويمكن تصنيف معايير النصية بالنظر إلى :

أولا : ما يتصل بالنص نفسه ، ويختص بهما معيارا السبك والحبك .

ثانيا : ما يتصل باستعمال النص بالنسبة إلى موقف منشئ النص أو متلقيه، ويختص بهما معيارا القصد والقبول .

---

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٨ .

(٢) تحليل الخطاب الشعري : ١٢١ .

(٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٥ .

(٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٨٠ .

ثالثا : ما يتصل بالمعلومات التي يقدمها النص وسياقه الاجتماعي والثقافي وعلاقته بالنصوص الأخرى المشابهة ، وهذه تختص بها معايير الإعلامية والمقامية والتناص[١] .

ويلزم أن يتحقق في النص أربعة معايير منها تعد . في حقيقة الأمر . معايير أساسية وضرورية لتحقق النصية لأي نص ، أعني الربط والتماسك والقصدية والموقفية[٢] .

ويقترح (آيزنبرك) مجموعة من المعايير النصية لا تبعد عما طرحه بوجراند /درسلر[٣] .

وثمة محاولة قدمها تمام حسان لإنجاز مشروع نظرية عربية للنص ، لا تعدو أن تكون . في رأي الباحث . إلا تعبيرا عن نظرية (بوجراند) مع بعض الحذف والأمثلة المستقاة من اللغة العربية ، والمعايير بحسب . حسان . هي :

١. القصد : فليس من قبيل النص ما نسمعه من لغو الكلام وحشوه ، وكلام السكران ، والمكره ، والناسي ، والمخطئ ، ولذلك جاء في الحديث (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٤] ، فإذا لم يتحقق القصد لم يتحقق النص بالمعنى الاصطلاحي .
٢. التناص : وهو علاقة تقوم بين أجزاء النص ، كما تقوم بين النص ، كعلاقة السؤال بالجواب ، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص ، وعلاقة المسودة بالتبييض ، وعلاقة المتن بالشرح وعلاقة الغامض بما يوضحه ، وعلاقة المحتمل بما يحدده معناه ، وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة : القرآن يفسر بعضه بعضا .

---

(١) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٥٧ .
(٢) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٧٦ .
(٣) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٣٠ . ٣٤ .
(٤) ينظر : وسائل الشيعة : ٣٦٩/١٥ .

٣. رعاية الموقف : ومن رعاية الموقف أنه لا يجوز الكلام في أثناء الصلاة إلا بقراءة الفاتحة والسورة ، وتفهم السبب في امتناع أن يعزي أحدنا الآخر وهو يبتسم ، وامتناع فهم قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[١] على إضافة اسم المصدر إلى مفعوله ، لأن السيرة المطهرة تقول إنهم هم الذين كانوا يؤذونه ، ورعاية هذا الموقف الذي حفظته السيرة يجعل الإضافة إلى الفاعل[٢] .

٤. الإعلامية : ومعناها أن يكون للنص محتوى يجري إبلاغه للمتلقي بوساطة هذا النص .

٥. القبول : وهو المعيار الخامس والأخير عند (حسان) ، ولا يفرق عما ذكره (بوجراند) في المعيار نفسه[٣] .

---

(١) الأحزاب : ٤٨ .

(٢) ينظر : في اللسانيات العربية المعاصرة : ٢١٨ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢١٩ .

المبحث السابع

اتجاهات البحث النصي

اتخذت اتجاهات البحث في هذا العلم أشكالا متعددة ، تبعا للأسس التي يستند إليها باحثو علم اللغة النصي ، فنجد اتجاها يعتمد على رصيد علم اللغة الوصفي ، بعد زيادة عدد من المفهومات أو التصورات الجديدة إليه ، حتى يمكن دراسة المستوى الأكبر الذي ينماز به هذا العلم ، أعني مستوى النص ، ونجد اتجاها آخر يستند إلى رصيد علم اللغة الوظيفي ، وثالثا يقوم على رصيد علم اللغة التركيبي أو البنائي ورابعا على رصيد علم اللغة التحويلي التوليدي ...الخ[١].

غير أننا نستطيع القول على نحو عام : إن اتجاهات تحليل النص ، على اختلاف مناهجها وأصولها تتناول بصورة ما المستويات الآتية :

١ . التحليل النحوي للنص .

٢ . التحليل الدلالي للنص .

٣ . التحليل المقامي للنص[٢] .

وغني عن القول ، إن هذه المحاور أو المستويات متداخلة ومتشابكة بعضها مع بعض ، إذ يستطيع من يحلل النص أن ينتقل من مستوى إلى مستوى آخر ، ولكن في إطار الوحدة الكلية للنص ، ويتوقف هذا التدرج في المستويات عند التحليل على النظرية التي يطبقها دارس النص أو محلله .

وتختلف وحدات النص المتنوعة باختلاف المستوى المدروس ، فإذا كانت الوحدات الصوتية والصرفية ثابتة يحددها النظامان الصوتي والصرفي في لغة معينة ، فان التبادلات والتتابعات والتجاورات التي تنتج من اختيار معين لا توصف بالصرامة والوجوب[٣] .

---

(١) ينظر : علم لغة النص : ١٨ .

(٢) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٧٠ .

(٣) ينظر : علم لغة النص : ٧٠ .

ينبغي أن نشير إلى أن المقولات الجوهرية الأربع في التحليل النصي ، أعني الاستعمال ، والتأثير ، والتفاعل ، والاتصال ، قد شكلت المحاور الأساسية لمعظم الاتجاهات النصية بدرجات متفاوتة ، حتى أن أغلب الحدود التي اقترحتها هذه الاتجاهات للنص نفسه ، قد صيغت في ضوء تلك المقولات[١] .

ويمكن القول إن أبرز اتجاهات التحليل النصي هي :

١ . نحوية النص عند فان دايك .

٢ . التحليل التوليدي عند ياوس بتوفي .

٣ . تجزئة النص عند فاينرش .

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٤٨ .

التحليل النحوي ـ الدلالي للنص عند (فان دايك)

لاشك أن مصطلح (النحو) هنا ذو دلالة خاصة ، إذ إنه ليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص ، بل يتضمن مفهوم القاعدة مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص نفسه ، وتتجاوز تلك الدلالة الكلية للنص مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكونه ، إذ إنها تنجم عنه بوصفه بنية كبرى أو بنية كلية شاملة[١] .

ويرى أحد الباحثين ،أن (نحو النص) هو الذي يصف وسائل تشكيل النص، ويقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصيا والعلاقات بينها[٢].

وحينما تنحصر هذه الاتجاهات في الغالب في بنى نصية كبرى ، فان نحو النص يتركز بوجه خاص في بنى نصية صغرى مثل علاقات الربط ، والإحالة، والتماسك الدلالي ، والربط النحوي على رأي (سوينسكي)[٣] .

ونحو النص . عند باحث معاصر . نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة ، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة ، فضلا عن فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة ، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي ، يبدأ من العلاقات فيما بين الجمل ، ثم الفقرة ، ثم النص أو الخطاب بتمامه[٤] .

ويتميز التحليل النصي من تحليل الجملة ، إذ يبدأ التحليل النحوي باجتزاء الجمل وعزلها تقريبا عن سياقها في النص أو الخطاب ، وما على النحوي إلا الكشف عن هذه النماذج وتحديد قوانينها الحاكمة على مكوناتها التركيبية ليصير

(١) ينظر : علم لغة النص : ١٨٣ .

(٢) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٦٠ .

(٣) ينظر : علم لغة النص : ١٣١ ، وينظر : النص والسياق : ٧٢ .

(٤) ينظر : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص (بحث) : ٤٠٦ .

الكلام جميعا قيد الضبط[١] . أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل ، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها ، بعلاقات وروابط ذات سمات خاصة .

وإذا كانت التحليلات اللغوية . بمستوياتها كافة . بقيت متاخمة لحدود الجملة ، فإن مستوى التحليل لدى (فان دايك) انتقل إلى خارج حدود الجملة واللسانيات التقليدية إلى لسانيات النص أو نحو النص ، ودراسة بنية متتاليات الجمل على المستويين النحوي والدلالي ، في ضوء علاقاتها بالجمل الأخرى سواء السابقة لها أو اللاحقة .

ويمكن القول : إن نظرية (فان دايك) في التحليل النصي تقوم على مفهومين:

١ . البنى الكبرى (البنى الشمولية) .

٢ . العلاقات النصية .

وسنعرض لهذين المفهومين بالتفصيل في الفصل الثالث من البحث .

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٤٠٧ .

التحليل التوليدي للنص (نظرية بتوفي)

على الرغم من إصرار (بتوفي) على أن تظل نظرية التحليل نحوية الأساس، إن انطلاقه من ضرورة التعامل مع النص بوصفه وحدة كلية متماسكة،قد تطلب أن يستقي أنموذجه عناصر غير نحوية كثيرة : عناصر دلالية ومنطقية وتداولية .

ويحاول (بتوفي) أن يحقق توازنا معقدا بين عالم واقعي فعلي يطلق عليه بنية العالم ، وعالم إبداعي تحقق في بنية النص ، ويرى (بتوفي) أنه لا يكفي في تحليل (النص) الكشف عن العلاقات الداخلية التي تمتد في داخله ، وتظهر في معانيه الأساسية ومعاني أبنيته حسب ، بل يجب أن يتسع ذلك التحليل ليضم المعاني الخارجية للنص ، تلك المعاني التي يحيل إليها النص ، هي ما يطلق عليها المعاني الإضافية ، أو الإشارية ، أو الإحالية ، أو التداولية وغيرها ، ولا تعني (أو) هنا التخيير ، إذ ربما يضم النص مجموعة ، أو مجموعتين ، أو أكثر من ذلك ، فالأمر يرجع إلى النص نفسه ومدى ثرائه وعطائه [١] .

ويتشكل الأنموذج الذي اقترحه بتوفي من ثلاثة مكونات جوهرية يحددها ، وهي :

١ . المعجم : وينبغي أن يشتمل على معجم أساسي محوري ذي معان أساسية أولية ، ويحدد المهام الأولية للمعجم على النحو الآتي :

. تحديد عناصر البنية الشكلية للوحدات الأساسية[٢] .

. اختيار أوليات دلالية في أضيق محيط في الأقل[٣] .

ويشكل المعجم مكونا حيويا (مهما) في أنموذج الوصف النحوي الدلالي لدى بتوفي ، ويذهب إلى أن القدرة الوظيفية لكل من المكونيين النحوي والدلالي تستند إليه .

٢ . المكون النحوي .

---

(١) ينظر : علم لغة النص : ٢١٨ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ٨٨ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٢ .

٣ . المكون الدلالي : تكمن مهمة المكون الدلالي في إلحاق نماذج ما بوصفها (مصاديق) في كل نص في عالم ممكن من خلال تمثيلات (المفهوم) النصية ، تلك (المصاديق) تتبع السياقات الواردة فيها[١] .

ويبدأ (بتوفي) التحليل من البنية النحوية ليصل إلى تحديد البنية الدلالية ، مخالفا بذلك النهج الذي اتخذه (فان دايك) الذي يركز على البنية الدلالية للنص .

وقد قام (بتوفي) بمحاولات مستمرة من طريق نقده لنظريات لغوية سابقة ، لبيان أهم المكونات التي يجب أن تضمها أية نظرية تتعامل مع النص بوصفه وحدة كلية ، وقد انتهى إلى نظرية نصية موسعة للغاية أطلق عليها نظرية (بنية النص وبنية العالم)[٢] .

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ٢٠٣ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ٧٣ .

تجزئة النص عند (فاينرش)

يقوم منهج (فاينرش) على رصد علاقات التشابه والتجاور والتقابل وغيرها من العلاقات النحوية الدلالية بين الجمل المتجاورة في نص ما في إطار مفهوم التماسك النصي[١] .

لا يتحقق المعنى عند (فاينرش) في معنى الأجزاء حسب ، بل من طريق معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى ، وقد اعتمد في تحديد وحدة النص ، على مجموعة من السياقات الدلالية التي تتضافر معا لتكوين التماسك النصي[٢] ، وهو كما يرى (سوينسكي) يعتمد أساسا على السياق ، فالجمل ، والمنطوقات اللغوية ، يتماسك بعضها مع بعض دلاليا من طريق المعلومات التي يقدمها النص بحيث لا يجد المتلقي . مستمعا كان أو قارئا . ثغرة في أثناء تلقي النص[٣] .

اهتم فاينرش بما أطلق عليه إشارات توجيه الاتصال في النص ، ومنها الضمائر ، والإشارة ، والملكية ، وأدوات التعريف والتنكير ، والأزمنة ، وغيرها من الأدوات التي تقوم بوظيفة نصية محددة[٤] .

يؤكد (فاينرش) أهمية الاتصال في أنموذجه ، إذ يمكن أن تذكر تتابعات جملية تتكون من جمل جيدة السبك نحويا ودلاليا ولكنها نصوص بالكاد ؛ لأن وظيفتها التواصلية تساوي القيمة صفر ، نخلص من ذلك إلى انه ((دون الوظيفية التواصلية لا يتكون نص))[٥] .

واختار (فاينرش) منهجا في التحليل النحوي للنص وصف بكونه تجزئة للنص ، إذ لا ينظر للجملة وحدة مستقلة ((بل متواليات من الجمل التي تجمعها ، أو بمعنى أدق تربط بين أفعالها مجموعة من العلاقات ، بحيث يمكن أن ينكشف ذلك

---

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ٢٠٥ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١٦٣ .

(٣) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ٢٠٧ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠٨ .

(٥) مدخل إلى علم النص : ٣٩ .

الترابط بين فعل في الجملة التاسعة وفعل في الجملة الخامسة ، من خلال (كذا)[١] منظور النظرة القبلية في مقابل النظرة البعدية))[٢] .

ويمكن القول : إن علماء النص في اغلب تحليلاتهم سواء بدؤوا بوحدة كبرى وانتهوا إلى الوحدة الصغرى أو على العكس من ذلك ، فإنهم أخذوا في الحسبان الجملة ومقولاتها وإجراءاتها ، على الرغم من محاولة بعضهم عدم ذكر ذلك صراحة .

(١) الصواب : من طريق .

(٢) علم لغة النص : ١٧٠ .

المبحث الثامن

القرآن (النص)

القرآن الكريم نص لغوي معجز يمثل في تاريخ الثقافة العربية نصا محوريا، وليس من قبيل التيسير أن نصف الحضارة الإسلامية أنها حضارة (النص) ، بمعنى أنها حضارة أنبتت أسسها ، وقامت علومها وثقافتها ، على أساس لا يمكن تجاهل مركز النص فيه.وليس معنى ذلك أن (النص) بمفرده هو الذي أنشأ الحضارة، فالنص أيا كان لا ينشئ حضارة ولا يقيم علوما وثقافة،إن الذي أنشأ الحضارة وأقام الثقافة : جدل الإنسان مع الواقع من جهة،وحواره مع النص من جهة أخرى[١].

والنص هو سياق المعنى ، والقرآن يبنيه على وفق نظام خاص ، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين لا بنحو عربي مبين ، وامتدت تراكيبه على رحابة اللغة ، ولم تنحبس في بوتقة القواعد النحوية ، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها ، ما أطرد منها وما لم يطرد[٢] .

وإذا كانت اللسانيات تستعمل مصطلح (النص) للدلالة على مقطع شفوي أو مكتوب بغض النظر عن طوله ، ولكنه يؤلف كلا متماسكا ، فإن النص القرآني ينماز من بقية النصوص باتساقه العجيب ، وانسجامه المعجز ، ((فهو نص يقدم نفسه بوصفه نصا واحدا في إطار السور المتعددة ، وان المعنى يتعدد في بنائه ... بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة ... كما (كذا)[٣] أنه يرتد إلى بؤرة دلالية واحدة في إطار السور المتعددة ، هي بؤرة التوحيد))[٤] .

والنص القرآني كلام الله المعجز فهو بامتياز (نص) ، نص يمتلك (كلاما) وليس نصا تنطقه (اللغة) وإن كان يستمد مقدرته القولية أساسا من اللغة ، النص القرآني يستمد مرجعيته من اللغة لكنه (كلام) في اللغة قادر على تغييرها[٥] ، فهو

---

(١) ينظر : مفهوم النص : ٩ ، وآليات قراءة النص الديني (بحث) : ١٠٧ .

(٢) ينظر : البيان في روائع القرآن:١/١٩٩. ٢٠٠،والدراسات اللغوية للقرآن الكريم : ١٩ .

(٣) الصواب : وأنه .

(٤) اللسانيات والدلالة : ٩٧ .

(٥) ينظر : النص . السلطة . الحقيقة : ٨٧ .

جنس فريد في باب له تفرد وخصوصية في استعمال التراكيب والبنى اللغوية المستحدثة التي استمدت كيانها من إمكانات النحو بشكل مميز ، والنص القرآني هو ((أعلى نص عربي قيمة أسلوبية وسلامة لغوية وتوثيقا في النقل))[١] ، وهو ((قطعي من حيث الورود ، أما من حيث دلالته على الأحكام فقد يكون قطعيا ، وربما يكون ظنيا))[٢] . وهو كلام الله ، ليس من جنس النثر ...ولم يكن ضربا من الشعر[٣] ، بل هو قرآن .

والنص القرآني نسيج متشابك ، قد يستعصي حله على صاحب النظرة الأحادية التي لا تنظر إليه إلا من طريق وسيلة واحدة ، فتهمل الأشياء النسيجية الأخرى[٤] ، فالموضوع المروم وصفه في الفكر اللغوي هو نص القرآن الكريم ، ينتج عن هذا ، أن المعطيات المنصب عليها الوصف اللغوي ليست جملا مفردة مجردة من مقامات إنجازها ، بل إنها (خطاب) متكامل متماسك الوحدات[٥] .

وتعرض لغة القرآن من حيث هي أثر لغوي ، صورة قد لا يدانيها أي اثر لغوي في العربية على الإطلاق[٦] ، ونعني بهذا ، الطريقة المتفردة للنص القرآني في اختيار الألفاظ ، وبناء التراكيب ، وكيفية التماسك الجامع للنص ، والنص القرآني ليس مجرد بنية ، وإذا كان هو كذلك في أحد مستوياته ((إلا أنه في مستوياته الأخرى يظهر تداوليا ، ولذا فان (كذا)[٧] ذات القارئ المتحولة به تتدخل أيضا، في

(١) ينظر : علم الدلالة ، الداية : ١٢٣ .

(٢) اثر العربية في استنباط الأحكام الشرعية : ٢٥٨ .

(٣) ينظر : الصوت اللغوي في القرآن الكريم : ١٥٦ . ١٥٧ .

(٤) ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ٦٣ .

(٥) ينظر : اللسانيات الوظيفية : ٣٥ .

(٦) ينظر : العربية ، فك : ١٦ ، وفي التطور اللغوي : ١٢ ، والعربية والغموض : ٤٧ ، وأساليب العطف في القرآن الكريم : ٢ .

(٧) الصواب : ولذا إن .

إعطاء تأريخيته معنى مضافا غير المعنى المتصل بأسباب نزوله وزمن حدوثه))[١] .

وشيء شبيه بهذا تصنعه لغة النص القرآني باللغة العربية ، ذلك أنها تتعامل معها تعاملا خاصا ، فتنقلها من وظيفتها الدلالية إلى وظيفة إبلاغية مكثفة باتجاه المتلقي فـ((دائما ما تلجأ لغة النص في سياق هذا التحويل إلى حفز المتلقي على (كذا)[٢] التعقل والتذكر والتدبر ، وفي هذا الحفز ما يؤكد التحويل من النظام اللغوي إلى النظام السيميوطيقي))[٣] .

والنص القرآني رسالة لسانية في حد نفسه ، فضلا عن كونه شهادة على رسالة عقائدية ، فلم يكن مبهما ولا مستعصيا ، كيف ؟! وقد نزل تحديا واعجازا لحضارة البيان بمنطوق البيان ، وإذا بالتفسير علم شرعي ، يتجدد لا بالاحتمال والإمكان ، بل بالاقتضاء والوجوب ، حتى خشي بعض علماء الدين عقاب الآخرة إن هم لم يتوجوا حياتهم بتفسير للقرآن[٤] ، فضلا عن ((فكرة غنى النص القرآني، بحيث (كذا)[٥] يصح أن يستخرج منه تفسيرا بعد آخر ، بحسب تفاوت الأدوات المستخدمة (كذا)[٦] وطبيعتها))[٧] .

---

(١) اللسانيات والدلالة : ٩٦ . ٩٧ .

(٢) الصواب : إلى .

(٣) النص . السلطة . الحقيقة : ٢١٨ .

(٤) ينظر : مباحث تأسيسية في اللسانيات : ٣٠ .

(٥) الصواب : إذ .

(٦) الصواب المستعملة .

(٧) نظرية المعنى في النقد العربي : ٦٢ .

المبحث التاسع

النصية في التراث العربي

أضحت مسألة الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ، ونظريات البحث اللغوي الحديثة ، من المسائل الملحة والقضايا المهمة ، التي تلقي بظلالها على أذهان العلماء والباحثين ، ولاسيما بعد ظهور علم اللغة الحديث علما مستقلا منفردا بنفسه، له كيانه المتميز من بقية العلوم الأخرى ، والعودة إلى التراث اللغوي ((من الأمور المهمة التي من شأنها أن تلقي النظر على المواضع المتعددة التي يلتقي فيها هذا التراث مع أحدث ما توصل إليه البحث اللغوي))[١] .

وتأتي أهمية هذا الربط لبيان مدى استمرارية التفكير اللغوي الإنساني عبر حقب زمنية وأجيال متعاقبة ، تؤكد تكاملية البحث والمعرفة لدى البشر ((ومن ثم تكون بعض محاولات المحدثين استكمالا لمحاولات القدماء))[٢] .

ويرى الباحث ،أن لسانيات النص ليست بدعا من الفروع اللغوية الأخرى، إذ نجد شذرات البحث النصي مبثوثة في التراث العربي ، على تنوع الدرس المعرفي على صعيد النقد ، والبلاغة ، والتفسير ، وأصول الفقه وغيرها .

وقد أفاد علماء النص من ((التراث اللغوي القديم والحديث والمعاصر ومن المدارس اللغوية ...من حيث التحليل الصوتي والصرفي والدلالي والأسلوبي))[٣].

وإذا عدنا إلى مباحث البلاغة والنقد الأدبي والتفسير وأصول الفقه فسنجد إشارات نصية كثيرة ، أما لماذا هذه المباحث بالذات؟، فلأننا نؤمن . كما افترض ذلك احمد المتوكل . أن النشاط اللغوي العربي القديم ينقسم على (لسانيات الجملة) و(لسانيات النص) ، وتشمل البلاغة ، والتفسير ، وأصول الفقه ، أي إن المباحث الأخيرة تواجه (تتخذ لها موضوعا) وحدة لغوية أكبر من الجملة ، على الرغم من

---

(١) أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث : ٢ .

(٢) تطبيقات في المناهج اللغوية : ٢٧٤ . ٢٧٥ .

(٣) دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٥٧ .

تفاوتها في استحضار مقتضيات التواصل في أثناء الخطاب[١] .

وتقف دراسة علماء أصول الفقه للنص القرآني ودلالة تراكيبه على المعنى الكامن في النص . من حيث الوضوح والغموض . بلا نظير سواء عند القدماء من نحاة ، ولغويين ، وبلاغيين ، أو عند المحدثين من علماء النص والأسلوب ، ولاسيما الذين بحثوا منهم في حقلي دلالات الألفاظ ومعاني الأساليب وما يترتب عليها من قواعد وأحكام ، وتعرضوا للثنائيات الدلالية التي وضعوها تحت عنوانات العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمفصل ، والمحكم والمتشابه ، فقد كان الأصوليون جامعين للشروط العلمية والأدوات التحليلية التي تحققت لها (كفاية علمية) ممتازة في البحث النصي .

فمن الإشارات المهمة التي يمكن تلمسها عند القدماء ، إدراجهم لمفهوم القصد ضمن مفهومات النص ، وهو أحد المعايير الأساسية لمفهوم النص عند (بوجراند) ، والقصد : هو الغرض الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب ، والفائدة التي يرجو إبلاغها للمخاطب ، فلن يكون هناك (نص) ولا (خطاب) من غير (قصد) ، وهذا نفسه ما يركز المعاصرون عليه ، إذ يرفعون من شأن القصدية كما فعل (ج.ل. أوستن) وتلميذه (ج . سيرل) في نظرية الأفعال الكلامية ، التي هي مفهوم من مفاهيم التداولية[٢] .

ومدلول القصد جزء من دلالة النص ، وليس جزءا من دلالة الكلمة ، لذا لن يرقى أي نص إلى مرتبة الخطاب وهو يخلو من القصد ، ومن ثم لا يقوى على

(١) ينظر : لسانيات النص : ٩٦ .

(٢) وهي العبارات التي تتضمن فعلا إنجازيا مثل (وعد ، حذر ... الخ) مقابل العبارات الوصفية التي تحتمل الصدق والكذب ، وللتوسع في معرفة نظرية الأفعال الكلامية ينظر : نظرية أفعال الكلام العامة ، لأوستن ١١٣ وما بعدها .

المحافظة على انسجامه الداخلي ، أو على البؤرة الرئيسة في النص ، ومن هنا؛فإنه لا يصح النظر إلى دال الكلمة بوصفه دال (القصد)[١]،بل النظر إلى النص بوصفه دال القصد .

ونظرة الأصوليين لوظيفة اللغة تنطلق أساسا من مبدأ القصد الذي قالوا به في الألفاظ والعبارات المركبة ، فقد ذهب الأصوليون إلى أن ((المواضعة تابعة للأغراض))[٢] ، وأن العبارات لابد من تضمنها مبدأ القصد ، لأن العبارة إذا لم تتضمن هذا المبدأ لم تتم عملية الاتصال بين المتكلم والمتلقي ، وهذا نابع من قناعتهم أن ((العبارات إنما وضعت دلالات على المعاني المقصودة ليقع العلم لغيره . أي المتلقي . بما في ضمير المتكلم))[٣]

وقد كان القدماء مدركين أهمية السياق في داخل النص في تحديد المعنى ، وواعين لأثره الحاسم في توجيه العلامات اللغوية ، وكيفية إنتاج الدلالة من مجموع العلاقات النصية ، ولاسيما في نص القرآن الكريم ، فقد صرح ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) أن السياق ((يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة ... وهذه من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظره ، وغالط في مناظراته))[٤] ، وإذا استنطقنا هذا النص فسنجد أنه يشير إلى أمرين :

الأول : مفهوم السياق الأصغر أو السياق الخاص للنص القرآني وأثره في تحديد الدلالة .

الثاني : علاقة التكامل الوظيفي والدلالي بين السياقين الأصغر والأكبر ، إذ كثيرا ما يفسر أحدهما بالآخر ، أي يفسر سياق بسياق ، والأول محدد ضمن وحدات

---

(١) ينظر : اللسانيات والدلالة : ٦٦ ، وتحليل الخطاب الشعري : ٥٩ ، ومجهول البيان : ٨٩ ، ودينامية النص الشعري : ٥٠ ، واللغة والدلالة : ٦٧ .

(٢) التمهيد في أصول الفقه : ٢٥١/٢ .

(٣) دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين : ٢٧ ، وينظر : كشف الأسرار : ٢٧/١ .

(٤) بدائع الفوائد : ١٣/٤ .

دلالية أو تركيبية معينة كالآية القرآنية ، أو ما يسبق الآية وما يلحقها من الكلمات أو الإجابات ، في حين أن الثاني (السياق الأكبر) شامل لما في دفتي المصحف ، لا تحده فواصل الآيات والسور والأجزاء ، وهو ما عبر عنه قائلهم بالقول : ((من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في موضع فقد فسر في موضع آخر))[١] ، وهي إشارة بليغة لكلية النص القرآني ، وإذا حاولنا تلمس الإشارات النصية في التراث العربي فسنجد الكثير منها[٢] ، ويمكن تتبع الإشارات النصية المبثوثة في المنجز التفسيري عبر مستويات متعددة هي على النحو الآتي :

١ . المستوى النحوي ويشتمل على :

. العطف .

. الإحالة .

. الإشارة .

٢ . المستوى الدلالي

. موضوع الخطاب

. تنظيم الخطاب

. ترتيب الخطاب

٣ . العلاقات النصية

. البيان والتفسير

. الإجمال والتفصيل

. العموم والخصوص

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١٦٨/٤ .

(٢) للإطلاع على هذه الإشارات ينظر : لسانيات النص : ١٠٢ وما بعدها ، وحبك النص (بحث) : ٥٨ وما بعدها .

٤ . المحكم والمتشابه

التماسك النصي

يمثل التماسك النصي محورا من المحاور المهمة التي أخذت بألباب دارسي علم النص ، فولوا وجوههم شطره ، لما يمثله من أهمية قصوى للتدليل على نصية نص ما ، ومن ثم معرفة الدلالة المستقاة من النص المروم فهمه وتفسيره، لذا اختلف مفهوم (التماسك النصي) بين دارسي النصية ، فمنهم من قصر التماسك على جانبه الشكلي ، ومنهم من قصره على جانبه الدلالي ، وهناك فريق حاول الجمع بينهما لتحقيق التماسك الكلي للنص ، ومعرفة الأثر الذي ينتجه عبر شقيه الشكلي والدلالي .

ففي التعريف الذي أورده (هارفج) للتماسك على أنه ((الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل))[١] نجد تأكيدا على الجانب الشكلي للتماسك ، وإن لم يهمل الجانب الدلالي كليا .

ويعرف صلاح فضل التماسك بكونه ((خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى))[٢] ، وهذا التعريف مأخوذ من مفهوم (فان دايك) للتماسك وإن لم يصرح الباحث بذلك .

ويعني التماسك ((الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم))[٣] عند باحث معاصر .

ولا يبتعد هذا المفهوم كثيرا عن مفهوم هاليداي للتماسك ، إذ يرى التماسك ((مفهوما دلاليا ، يحيل إلى (كذا)[٤] علاقات المعنى القائمة داخل النص التي تحدده كنص))[٥] ، وهذه المفهومات ترتكز على الجانب الدلالي للتماسك .

---

(١) العلاماتية وعلم النص : ١٣٢ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦٣ ، وينظر : تحليل الخطاب : ٢٠٧ .

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٩٤/١ .

(٤) الصواب : على .

(٥) تحليل الخطاب . رسالة ماجستير . : ٢٠٧ .

ويعرف التماسك باحث آخر بأنه ((العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، وبين (كذا)[١] النص والبيئة المحيطة به من ناحية أخرى))[٢] ، ويكاد يكون هذا التعريف أشمل من التعريفات السابقة ؛ لأنه ضم الوسائل الشكلية والدلالية التي تسهم في التماسك .

ويرى معظم دارسي النص أن التماسك اللازم للنص ينماز بطبيعته الدلالية مهما تدخلت فيه العمليات التداولية ، فهذا التماسك يتميز بخاصية الخطية ، أي انه ((يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية))[٣] .

وينطلق أغلب دارسي النص لتحليل التماسك النصي من الجملة ، ليس بعدها جزءا مستقلا ، وإنما هي جزء داخل كل منسجم متماسك ، ويؤدي فصلها إلى تفسير جزئي لما تحمله من دلالات قد تحقق امتدادا داخل المجموع أو تتغير جزئيا أو كليا على وفق دلالات الجمل الأخرى[٤] .

وإذا رأى هاليداي ((أن انسجام الخطاب لا يمكن حسابه بالوسائل اللغوية وحدها))[٥] فإن التماسك يتصل بتحليل النص الذي يتجلى في الترابط الدلالي لمعناه في المفهومات والتصورات التي يطرحها ، ومدى ارتباطها وأجزائها في صورة محكمة ((وذلك من خلال(كذا)[٦] الجمل والعبارات التي استخدمها (كذا)[٧] المبدع أو منتج النص ، ومن ناحية أخرى يتصل هذا التحليل الدلالي بالمتلقي ، من حيث فهمه واستيعابه أو تأويله وتفسيره له))[٨] .

---

(١) الصواب : والنص .

(٢) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٩٦/١ .

(٣) علم لغة النص : ١١٣ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، والصحيفة نفسها .

(٥) تحليل الخطاب : ٢٠٧ .

(٦) الصواب : من طريق .

(٧) الصواب : استعملها .

(٨) دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٥٩ .

ومن الباحثين من جعل التماسك راجعا إلى التماسك بين الظروف المحيطة بالجمل ((فترتبط العبارتان فيما بينهما إذا كان مدلولهما ، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينها))[١] .

ويتفق دارسو النص . على الرغم من اختلافهم في مفهوم التماسك . إلى أن اكتشاف التماسك الكلي لنص ما غير ممكن التحقيق من غير كفاية تتخطى كفاية الشخص الاعتيادي إلى كفاية المفسر الواعي ، فهو يستند إلى أنواع مختلفة من المعارف ، وكما يتجاوز نحو النص نحو الجملة ، يتجاوز التماسك الدلالي الترابط النحوي ، يتجاوز الأبنية السطحية للنصوص ويتصل بعالمها الدلالي ، ويعتمد اكتشافه على المفهومات التي يستعملها دارسو النص ، مثل المفهومات المنطقية والدلالية والحقول الموضوعية والسياق والمقام والقبليات المعرفية وطبيعة علاقات الترميز الأدبي ...الخ[٢] .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هناك الكثير من العناصر التي تتضافر فيما بينها لتحقيق الترابط والتماسك في داخل النص ، وصولا إلى الغاية الدلالية التي أبدعها المبدع ، أو تلك التي يكونها المتلقي ، وهذه العناصر بعضها موجود في داخل النص نفسه ، وبعضها من خارجه ، وهي ما أشار إليه (بتوفي) وأسماه المعاني الإضافية ، والمعاني الإشارية ، والمعاني الإحالية ،والمعاني التداولية[٣] .

نخلص مما سبق أن التماسك النصي ذو طبيعة دلالية من ناحية ، وذو طبيعة خطية شكلية من ناحية أخرى ، وإن الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلي للنص .

ويمكن الباحث أن يعرف التماسك النصي على أنه (الأثر المستقى من مجموع العلاقات والوسائل الشكلية والدلالية لنص معين باتجاه توليد دلالة معينة).

---

(١) بلاغة الخطاب : ٢٦١ ، وينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٩٧/١ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١١١ . ١١٣ ، وينظر : اللغة والمعنى والسياق : ٢٢٠ .

(٣) ينظر : المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي : ٣٥٩ .

وعلى الرغم من تنوع وسائل التماسك النصي . الشكلية والدلالية . وتشعبها ، إن الدراسة المنعمة للتفسير المروم دراسته بينت أن السيد المفسر استند إلى وسائل نصية معينة وعلى النحو الآتي :

١ . وسائل تماسك لغوية . شكلية

أ . الأدوات .

ب . الإحالة أو المرجعية .

٢ . وسائل تماسك دلالية وهي :

أ . السياق .

ب . المقام .

ج . المكنون المعرفي . القبليات المعرفية .

المبحث الأول
الوسائل اللغوية

١ . الأدوات

ونقصد بها الأدوات اللغوية التي تربط بين أجزاء الجملة وأجزاء النص مما يفضي إلى التماسك[١] . وأقوال علماء النص في الأدوات التي تحقق التماسك النصي متعددة وتختلف في الغالب بعضها عن بعض ، غير أن هناك أدوات مشتركة بينهم ، وهذا الاشتراك ليس إلا إبرازا لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا في ذكرها ،ومن هذه الوسائل أدوات النفي والاستفهام والإضراب والرتبة وغيرها، وإذا تتبعنا التفسير وجدنا المفسر استند إلى بعض الوسائل اللغوية التي دلت على تماسك النص القرآني ، ومن ثم بيان الدلالة المستقاة من هذا التماسك في بعض الآيات وعلى النحو الآتي :

(إلى) في قوله تعالى ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[٢] .

قال الفراء (ت٢٠٧هـ) : ((الاستواء في كلام العرب على جهتين : إحداهما أن يستوي الرجل وينهي شبابه ، أو يستوي عن اعوجاج ،فهذان وجهان، ووجه ثالث أن تقول كان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ يشاتمني وإليّ سواء ، على معنى أقبل إلي وعليّ ، فهنا معنى قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء)) والله العالم))[٣].

وقال الأخفش (ت٢١٥هـ) في هذه الآية : ((فان ذلك لم يكن من الله تبارك وتعالى ، ليحول ، ولكنه يعني فعله كما تقول كان الخليفة في أهل العراق يوليهم ثم تحول إلى أهل الشام))[٤] .

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٩٨/١ .

(٢) البقرة : ٢٩ .

(٣) معاني القرآن : ٢٥/١ .

(٤) معاني القرآن : ٦٢/١ .

يقول المفسر في هذه الآية : ((الاستواء : الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج ، وإذا عدي بـ(إلى) اقتضى معنى الانتهاء إليه أما بالذات أو بالتدبير ، وإذا عدي بـ(على) اقتضى معنى الاستيلاء كقوله تعالى ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى))[1] ...أما الاستواء الذي يعني القعود فلا يتناسب مع تنزيه الله عن الجسمية فلا بد من اعتبار (كذا)[2] الكلمة واردة في مورد الاستعارة لبيان خلق السماوات ومشيئة لذلك بعد خلق الأرض ،من غير أن تتعلق إرادته في ما بين ذلك بخلق شيء آخر ، والمراد بالسماء جهة العلو))[3] .

بعد القراءة الدقيقة للتفسير المزبور ، نستجلي رأي المفسر في الآية الكريمة، إذ ذهب إلى أن الآية واردة مورد الاستعارة واستند إلى قرينتين :

احداهما : قرينة نحوية ،وهي تعدية الفعل بـ(إلى) التي تفيد معنى الانتهاء، وهو واضح من كلام الفراء و((للتركيب النحوي دلالة أو دور في الدلالة))[4] .

الثانية : قرينة عقلية . نصية ، وهذه القرينة متأتية من نظرته للنص القرآني نصا واحدا بكل سوره وآياته ، ومن ثم فان تفسير معنى الاستواء لا يفهم من الآية بمفردها ، وإنما من مجموع الدلالات المستقاة من النص ، وهذا المكون التداولي . كما يرى فان دايك . توسع ليشمل ليس شروط الملاءمة بين الجمل ، وإنما الخطاب (النص) جميعه .

---

(١) طه : ٥ .

(٢) الصواب : من عد .

(٣) التفسير : ١/٢٠٧ . ٢٠٩ .

(٤) العربية : عبد الصبور شاهين : ١٣٢ .

(أم) في قوله تعالى : ((أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))[1]

اختلفت آراء العلماء في (أم) هنا :

فقال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) : ((أم تجيء بعد كلام قد انقطع ، وليست في موضع هل ولا ألف الاستفهام))[2] ، وذهب الأخفش[3] إلى أنها منقطعة ، وذهب عضيمة[4] إلى أنها منقطعة ، ويرى تمام حسان[5] أنها للتسوية .

يقول المفسر : ((إن (أم) هاهنا منقطعة ، وهي لا تجيء إلا وقد تقدمها كلام ، لأنها التي تكون بمعنى (بل) وهمزة الاستفهام كأنه قيل : بل أنتم شهداء ، ومعنى (أم) هاهنا الجحد ، أي ما كنتم شهداء ، وإنما كان اللفظ على الاستفهام أبلغ في الكلام وأشد مظاهرة في الحجاج ، إذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة أو الإنكار له فتظهر الفضيحة))[6] .

يلحظ أن المفسر نظر إلى الآية السابقة وهو قوله تعالى : ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ))[7] ، ليصل إلى المعنى المتحصل من وجود وسيلة الربط النصي (أم) لإفادة الدلالة الكلية المستقاة من النص عنده ، إذ إن ثبات النص بوصفه نظاما دلاليا يرجع إلى استمرارية الأقوال ، وفكرة الاستمرارية قائمة على

---

(١) البقرة : ١٣٣ .

(٢) مجاز القرآن : ٥٦/١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ١٥٨/١ .

(٤) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم : ٣١/١ .

(٥) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٣٦٥/١ .

(٦) التفسير : ٤٣/٣ .

(٧) البقرة : ١٣٢ .

افتراض أن الأقوال المتعلقة في النص والسياقات المحيطة يرتبط كل منها بالآخر، فكل قول يساعد على الوصول إلى الأقوال الأخرى ((فالترابط بين وحدات النص هو السر في ثبات النص وهو ما تقوم به أدوات التماسك النصي))[١] .

(لا) في قوله تعالى : ((لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٢]

اختلف العلماء في قوله تعالى ((لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)) ، ونحو ذلك فقال البصريون والكسائي (ت١٨٩هـ) من الكوفيين : معناه أقسم بيوم القيامة ، وقال الزجاج (ت٣١١هـ) : لا خلاف في أن معناه أقسم ، وإنما الخلاف في (لا) فهي عند البصريين وعامة المفسرين والكسائي زائدة ، وقال الفراء : هي رد لكلام تقدم من المشركين[٣] .

وقال أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) : فإن قلت إن (لا) والحروف التي تكون زوائد إنما تكون بين كلامين ، ولا تكاد تزاد أولا ، فقد قالوا : إن مجاز القرآن مجاز الكلام الواحد ، والذي يدل على ذلك أنه قد يذكر الشيء في سورة ، فيجيء جوابه في سورة أخرى[٤] .

وممن قال بزيادتها من العلماء أبو عبيدة [٥] ، والدامغاني (ت٤٧٨هـ)[٦] ، والكرماني (ت بعد ٥٠٠هـ)[٧] ، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)[٨]، والأنباري (ت٥٧٧هـ)[٩] ، وأبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)[١] ، وابن هشام (ت٧٦١هـ)[٢] وغيرهم[٣] .

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٦٤/١ .

(٢) القيامة : ١ .

(٣) ينظر : جمال القراء وكمال الإقراء : ٢٨٧/٢ ، ومعاني القرآن : ٢٠٧/٣ .

(٤) ينظر : الأمالي الشجرية : ٢١٩/٢ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ٢٥٢/٢ .

(٦) ينظر : الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز : ٣١٨/٢ .

(٧) ينظر : البرهان في متشابه القرآن : ٣٥٢ .

(٨) ينظر : الكشاف : ١١٦٠ .

(٩) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ٤٧٦/٢

وقال المفسر في تفسيره للآية : ((قيل : إن (لا) رد على الذين أنكروا البعث والنشور من المشركين ، فكأنه قال : لا كما تظنون ، ثم ابتدأ القسم فقال : أقسم بيوم القيامة إنكم مبعوثون ، ليكون فرقا بين اليمين التي تكون جحدا واليمين المستأنفة ، وقيل : إنها زائدة ، وقيل : معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية ، وقيل : لا أقسم بيوم القيامة فأنكم لا تقرون بها ، ولعل أقرب الوجوه هو الوجه الثالث الذي يجعل من الكلمة إيحاء بالقسم على أساس أنه في مستوى القسم به ولكن لا ضرورة لذلك ؛ لأن الوضوح يوحي بأن الحقيقة لا تحتاج إلى تأكيد بالقسم ، فهي تفرض نفسها على الوجدان بشكل مباشر))[٤] .

انطلق المفسر في عرضه الآراء الواردة في الآية من فرضية تنظر إلى القرآن وحدة معرفية متكاملة ، وأن دلالات الألفاظ لا تتبين للمتلقي خارج إطار الاستعمالات المتنوعة للسياقات والتراكيب في القرآن ، وإذا أنعمنا النظر في الوجهين :الأول الذي عرضه ، والثالث الذي ارتضاه ، نجد أنه استند إلى الأنساق لدراسة البنية التركيبية دراسة نصية ، ويقصد بالأنساق : الربط بين جمل النص ، ويقوم على أربعة أسس هي : ((الربط بأداة ، والربط بوسيلة منطقية ، والربط باستعمال الضمير العائد ، والربط بين متواليات الأحداث وزمن النص))[٥] فقد عد المفسر القرآن نصا واحدا في الوجه الأول ، لذا جاء الرد على كلام متقدم في السور والآيات السابقة وكلام المنكرين ليوم القيامة ، واستند في الوجه الثالث إلى وسيلة منطقية وجدانية في بيان دلالة (لا أقسم) ، لظهور الأمر ووضوحه لكل ذي لب بما لا يحتاج إلى القسم .

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ٥٣٥/٨ ، ٥٣٦ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ٣٢٩/١ .

(٣) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ١٤٧ .

(٤) التفسير : ٢٣٦/٢٣ .

(٥) الربط بين الجمل (بحث) علامات : ٥٨ . ٥٩ .

(ما) في قوله تعالى ((وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى))[١] .

اختلف العلماء في معنى (ما) هاهنا ومن ثم بيان التماسك النصي المستقى من تعيين دلالة بنفسها ، فذهب الفراء[٢] ، وابن خالويه (ت٣٧٠هـ)[٣] ، والأنباري[٤] ، والعكبري (ت٦١٦هـ)[٥] إلى أن معنى (ما) هنا إما أن تكون موصولة بمعنى (من) أو تكون مصدرية ، ويكون المعنى خلقه الذكر والأنثى ، وذهب الأخفش[٦] إلى أنها مصدرية ، وعد الواو واو عطف ، عطف بها على (الواو) الأولى التي للقسم،وذهب أبو عبيدة[٧]إلى أنها بمعنى (من) لا غير .

يقول المفسر : ((ربما كانت (ما) موصولة ، أي أقسم بالذي خلق الذكر والأنثى وهو الله ، كان من المفروض أن يكون التعبير (بمن) التي هي للعاقل ، ولكن جاء التعبير بـ(ما) إيثارا للتفخيم ، أي أقسم بالشيء العجيب الذي أوجد الذكر والأنثى المختلفين في خصائصهما الذاتية وأدوارهما الوجودية مع كونهما خلقا واحدا ، وربما كانت مصدرية بمعنى اقسم بخلق الذكر والأنثى اللذين يمثلان التنوع الذي تتكامل به الحياة المتحركة في خطين ، الملتقية في وحدتهما الوجودية في حركة استمرارية الإنسان . وربما كان هذا الوجه قريبا ليتناسب مع طبيعة الليل والنهار اللذين يمثلان التكامل الزمني في امتداد التوازن في النظام الكوني ، كما يمثل الذكر والأنثى التكامل الحي في حركة الوجود المستمرة ، والظاهر أن المراد بالذكر والأنثى المعنى الشامل في كل الوجود الحي))[٨] .

---

(١) الليل : ٢ . ٣ .

(٢) ينظر : معاني القرآن : ٣/٢٧٠ .

(٣) ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن : ١١٨ .

(٤) ينظر : البيان : ٢/٥١٨ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢/٤٦٥ .

(٦) ينظر : معاني القرآن : ٢/٥٨٠ .

(٧) ينظر : مجاز القرآن : ٢/٣٠١ .

(٨) التفسير : ٢٤/٢٩٤ . ٢٩٥ .

نلحظ أن المفسر استقرب الوجه الثاني بناء على معطى نصي هو التناظر الموجود في أجواء السورة ، وحاول الكشف عن تناظر دلالي من نظرة فاحصة في ثيمة (موضوع) الخطاب ، وبمجرد إدراك فحوى هذه الثيمة فأن تعرف تناظر دلالي سيكون هو الدليل النصي على الغاية الفعلية لهذا الخطاب ، ففي الخطاب بنيات لا يمكن أن يفسرها نحو لساني ، ومنها البنيات السردية والبنيات البلاغية وغيرها ((ويعد مظهر التوازي من البنيات البلاغية ، أي توازي البنية التركيبية لعدد من الجمل))[١] ، فهذا التوازي ليست له وظيفة نحوية لكن قد تكون له وظيفة نصية . دلالية ترتبط بأثر القول في القارئ ، وهذا ما يظهر بشكل جلي في تفسيره للآية الكريمة .

(١) ينظر : لسانيات النص : ٣٠ .

ويمكن تلمس مواضع الوسائل اللغوية في التفسير على النحو الآتي :

١/٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ .

٢/١٤٤ ، ١٦٤ .

٣/٤٣ .

٤/١٣٥ ، ٣٧٣ .

٥/٢٠٦ ، ٢٣٤ .

٦/١٦٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٣٤١ .

٨/١٥٠ .

٩/٧٧/٣٥٥ .

١٠/١٩ ، ٤٩ ، ٣٣٢ .

١١/٧٨ .

١٢/٤٧ .

١٣/١٨٨ .

١٤/٧١ .

١٥/٦٨ ، ١٤٣ ، ٢٦٧ .

١٦/٥٩ .

١٨/٧٧ .

١٩/١٢٧ .

٢٠/٢٧٦ .

٢١/١٩٦ ، ٣٤٣ .

٢٢/٥٢ .

٢٣/٢٠٣ ، ٢٣٦ .

٢٤/٢٣٣ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ .

٣ .الإحالة أو المرجعية :

تمثل الإحالة وسيلة مهمة من وسائل التماسك النصي ، ومن ثم تتمثل أهمية الإحالة في إنشاء التماسك الدلالي للنص[١] ، وقد عرض علماء النصية مفهوم الإحالة وتجاذبه أكثر من تعريف ، فقد عرفت بأنها ((استخدام (كذا)[٢] الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق له بدلا من تكرار الاسم نفسه))[٣] ، وعرفها (بوجراند) بأنها ((العلاقة بين العبارات من جهة والأشياء والمواقف في العالم الذي تشير إليه المعلومات من جهة أخرى))[٤] . وقدم (تنيير) تصورا خاصا للإحالة ، إذ إن دراسة العلاقات الإحالية في النص تثير البنية الدلالية فيها ، فالإحالة . برأيه . ربط دلالي ، لا يطابقه أي ربط تركيبي آخر[٥] ، ويبدو تعريف عبد المجيد جحفة للإحالة مأخوذا من تعريف (بوجراند) وان لم يشر إلى ذلك[٦] .

وتطلق تسمية (العناصر الإحالية) على ألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود إلى عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء الخطاب . فشرط وجودها هو النص . وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ، وما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[٧] .

والإحالة كما يرى الأزهر الزناد على أنواع :

١. إحالة داخل النص ، أو داخل اللغة ، وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ ، سابقة كانت أو لاحقة ، فهي إحالة نصية ، وهذه بدورها تنقسم على قسمين :

---

(١) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٧١/١ .

(٢) الصواب : استعمال .

(٣) مقدمة في اللغويات المعاصرة : ٢٠١ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ١٧٢ .

(٥) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة : ٨٢ .

(٦) ينظر : مدخل إلى الدلالة الحديثة : ١١١ .

(٧) ينظر : نسيج النص : ١١٨ .

أ . إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة ، وهي تعود إلى مفسر سبق التلفظ به .

ب . إحالة على اللاحق : وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها .

٢ . إحالة على ما هو خارج اللغة : وهي إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي ، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على صاحبه المتكلم ، بحيث يرتبط عنصر لغوي إلى المقام نفسه[١] .

وتعد الإحالة علاقة دلالية ، ومن ثم تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه[٢] ، وعد بعض الباحثين الإحالة رابطا نحويا دلاليا ، ومن ثم جعل دارسو اللغة النصيون طبيعة التماسك أنها تتمثل في كونه يعني الوحدة والاستمرارية للنص[٣] ، وتقوم الإحالة بأثر بارز في إنشاء التماسك الدلالي للنص ، إذ إن شيوع ورود صيغ الإحالة الممكن تحديدها في كل نص تسوغ أن تشغل الإحالة ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص مكانا بارزا[٤] ، ومن القراءة الدقيقة للتفسير نجد أن المفسر استند إلى الإحالة في بيان دلالة النص القرآني وعلى النحو الآتي :

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥] .

يقول المفسر : (((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) العلماء ، (يعرفونه) أي رسول الله في صدقه وفي نبوته ، واحتمل بعضهم أن يكون الضمير في (يعرفونه) عائدا إلى

---

(١) ينظر : نسيج النص : ١١٩ .

(٢) ينظر : لسانيات النص : ١٧ .

(٣) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٧١/١ .

(٤) ينظر : دراسات لغوية تطبيقية : ٩١ .

(٥) البقرة : ١٤٦ .

الكتاب ولكنه غير ظاهر ، لأنه لا مناسبة له في السياق العام في موضوع الجدال الذي يدور حول النبي والنبوة أمام مفردات التشكيك التي توجه إليه ، كما أن تشبيه هذه المعرفة بمعرفة الأبناء قد يوحي بذلك ، فإنه يقال في الإنسان : إن فلانا يعرفه كما يعرف ولده ، ولا يقال ذلك في الكتاب ... والظاهر أن الخطاب . كما ذكرنا . موجه لرسول الله (ص) الذي جاء بالصدق وصدق به ، وهو جار على أسلوب خطاب الأمة من خلال خطاب الرسول (ص)))[1] .

يرى المفسر أن هناك احتمالين لما يعود إليه الضمير المنصوب في (يعرفونه) :

الأول : أنه عائد إلى الكتاب ، واستبعد هذا الوجه لعدم وجود مناسبة له في السياق العام لا لفظا ولا تقديرا ، لأن الموضوع يتناول النبي (صلى الله عليه وآله) والنبوة .

الثاني : أن الضمير يعود إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وان لم يسبق ذكره ، لأنه قد علم من الكلام السابق وتكرر فيه من قوله تعالى ((...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ...))[2]، وقوله تعالى ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء))[3] .

وواضح أن الإحالة هنا . عنده . هي إحالة داخلية قبلية ؛ إذ جاء ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ظاهرا مرة واحدة في الآية (١٤٣) ومستترا في الآيات التي تليها ، والاختلاف في مرجعية الضمير يظهر التماسك الدلالي للنص ، ومن ثم تفسير النص باتجاه معين ، فمرجعية الضمير إلى الرسول أو إلى القرآن ، أمور تعتمد على الاختلاف في فهم الآية ، وهذا الفهم يقوم على الدلالة ، وهذا الاختلاف من عمل المتلقي .

---

(١) التفسير : ٣/٩٠ . ٩١ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

(٣) البقرة : ١٤٤ .

قوله تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ))[1] .

يقول المفسر : ((قد جاءكم من الله نور ، وهو القرآن الذي يعني للناس الحقائق العقيدية والشرعية والروحية والعملية ... وهذا المعنى . القرآن . هو المراد . على الظاهر . من كلمة النور ، لا ما ذكره قتادة واختاره الزجاج[2] ، أنه النبي محمد (ص) الذي يهتدي به الخلق كما يهتدون بالنور ، ذلك لأننا في الوقت الذي نرى فيه النبي (ص) نورا هاديا من خلال ذاته النورانية التي لا ظلمة فيها ، لأنها الحق كله ، فلا مجال فيها لأي باطل في الفكر والقول والعمل ، إلا أننا لا نجد أية كلمة وردت في القرآن بهذا المعنى ، بل أنها وردت بمعنى القرآن كما في قوله تعالى ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))[3] ، وعلى ضوء ذلك جاء الحديث عن القرآن بصفته النورانية تارة ، وبصفته الكتابية الموضحة ثانية كما في قوله تعالى ((وكتاب مبين)) والله العالم))[4] .

أشار المفسر إلى تعدد (الإحالة) من كلمة (نور) الواردة في الآية الكريمة ، فذهب بعض العلماء إلى أنها تشير إلى النبي (ص) في الآية المباركة . وذهب السيد فضل الله إلى أن المراد من كلمة (نور) هو القرآن الكريم وهو ما رجحه ، واستند في ذلك إلى نوع من الإحالة أسماه (هاليداي) الإحالة المقامية ((أي أن العنصر المحال إليه يكون حاضرا في الخطاب بالقوة وليس بالفعل))[5]

---

(١) المائدة : ١٥ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٣٠/٢ .

(٣) التغابن : ٨ .

(٤) التفسير : ٩٥/٨ .

(٥) لسانيات النص : ١٧٨ .

واختياره هنا مدعوم بقرينتين :

نصية : ورود كلمة النور وهي تشير إلى القرآن الكريم في اكثر من آية ، كما أشار إلى ذلك .

تداولية : تجسدها الإشارة إلى معرفة أهل الكتاب بالرسول (ص) والكتاب الكريم ، إذ إن المشار إليه حاضر في أذهان المخاطبين . أي معرفتهم له بشكل عام . على الرغم من غيابه في الخطاب تصريحا .

قوله تعالى : ((مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ))[1] .

يقول المفسر : ((والضمير في (ينصره) ـ كما قيل . راجع إلى النبي (ص) الذي كان المشركون في مكة يستهينون به ، ويستصغرون دور رسالته ، ويظنون أنه لا يملك حمل الناس على الإيمان بها والدخول في دينه ...وقد فسره البعض[2] بإرجاع الضمير إلى (من) وهو الشخص نفسه الذي يعيش عدم الثقة بالله وبتدبيره لخلقه ، ودفعه الشر عنه وجلب الخير له ... ولعل هذا الوجه اقرب إلى السياق العام للآيات من الوجه السابق ، لأن إرجاع الضمير في (ينصره) إلى النبي (ص) لا ينسجم مع عدم ذكره في الآية من قريب أو بعيد والله العالم))[3] .

نلحظ أن السيد المفسر أورد احتمالين في مرجعية الضمير في (ينصره) :

أحدهما : إرجاع الضمير إلى النبي (ص) وهو اختيار الفراء[4] ، والإحالة على هذا الرأي إحالة خارجية .

---

(١) الحج : ١٥ .

(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢٠٧/٧ .

(٣) التفسير : ٣١/١٦ . ٣٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن ، الفراء : ٢١٨/٢ ، وتفسير أبي السعود : ١١/٤ . ١٢ ، وخصائص التعبير الفني : ٣٧٤/١ .

الآخر : إرجاع الضمير إلى الشخص نفسه الذي يعيش عدم الثقة بالله وهي هنا إحالة داخلية قبلية ، واستقرب الاحتمال الثاني استنادا إلى تضافر الإحالة (المرجعية) مع القرينة اللغوية لتحقيق التماسك النصي وإنتاج معطى دلالي معين ، وهذه القرينة موجودة . برأيه . ولكن بشكل سلبي ، أي إن عدم ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية أبعد الاحتمال القائل بمرجعية الضمير إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[1]

يقول المفسر : (((يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ) الذي يدعوهم إليه ليواجهوا الموقف بين يدي الله (لا عوج له) أي من دون توقف أو تأخر أو امتناع ، لأنهم لا يملكون قدرة التمرد على الدعوة ، فينساقون إليه تلقائيا . وربما احتمل أن يكون الضمير في قوله (لا عوج له) راجعا إلى الداعي ، فيكون المعنى أن لا يهمل أحدا بسهو أو نسيان أو مساهلة ، ولعل المعنى الأول اقرب ...بقرينة الفقرة التالية (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) فلا يملك أحد لنفسه شيئا للاعتراض أو للتوقف ليرجع صوته أمامه بل هو يستسلم للدعوة الموجهة إليه))[2] .

يلاحظ من الكلام المزبور أن السيد المفسر أورد احتمالين لعودة الضمير في (لا عوج له) :

الأول : أن يكون متعلقا بالاتباع ((بأن يكون (لا عوج له) حالا عن ضمير الجمع وعامله يتبعون))[3] .

---

(١) طه : ١٠٨ .

(٢) التفسير : ١٥٦/١٥ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ٢١٠/١٤ .

الثاني :أن يكون الضمير راجعا إلى الداعي ، والإحالة هنا تكون إحالة قبلية، ويلاحظ أنه رجح هذا الوجه استنادا إلى تتابع كلمات داخل نسق النص ((إذ أفاد من الطبيعة الخطية الأفقية التي تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل والعلاقات المتسقة فيما بينها))[١] ، ويمكن ملاحظة ذلك في إيراده القرينة اللفظية . خشعت . لتدعيم رأيه .

قوله تعالى :((أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ))[٢] .

يقول المفسر : ((قد اختلف المفسرون في هؤلاء الذين يعملون السيئات في تحديد هويتهم ، فقيل : إنهم المشركون الذين كانوا يفتنون عن دينهم ، وقيل إنهم العصاة فيما يقترفونه من عصيان أمر الله ونهيه في تفاصيل الحياة ، وقيل : إن المراد بعمل السيئات أعم من الشرك وعمل العاصي ، مما يجعل الآية عامة لكل الناس من يمارس السيئة على مستوى العقيدة وعلى مستوى العمل .

وقد اختار صاحب الميزان[٣] الوجه الأول ، ورفض الوجهين الآخرين على أساس مخالفة السياق الذي انطلقت منه بداية السورة في الحديث عن الفتنة في نطاق مسالة الإيمان والكفر ، مما يجعل الآية في دائرة المشركين الذين كانوا يتحركون في اتجاه إيجاد الفتنة للمؤمنين ، فيما يقدمونه من اغراءات وما يثيرونه من ضغوط ....

ونحن نلاحظ على ذلك ، أن بداية السورة لم تقتصر على الفتنة في العقيدة، ولكنها قد تشمل الفتنة في العمل فيما يرتبط به الإيمان في صدقه وكذبه بالعمل على أساس الشريعة التي يفرضها الإيمان في الانسجام معها ، والابتعاد عنها ، مما يجعل العموم هو طبيعة هذه الآية كما هو طبيعة ما قبلها))[٤] .

---

(١) علم لغة النص : ١١٠ .

(٢) العنكبوت : ٤ .

(٣) ينظر : الميزان في تفسير القرآن :١٠٣/١٦ .

(٤) التفسير : ١٤/١٨ . ١٥ .

نحن هنا أمام ثلاثة آراء كما يرى المفسر يحيل عليها قوله تعالى ((الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ)) وهي :

١ . المشركون .

٢ . المؤمنون العصاة .

٣ . أن الآية شاملة وعامة فيما تحيل إليه .

والإحالة هنا على مختلف الأوجه التي عرضها المفسر هي إحالة خارجية أي إحالة على خارج النص .

واختار الرأي الثالث ، وهو عمومية الإحالة استنادا إلى قرينتين :

الأولى : الاستهلال ، أي بداية السورة التي جاءت عامة ولم تخصص ، مما يجعلها شاملة لكل البشر ، واستهلال النص يمثل قرينة مهمة عند التلقي لمعرفة الأثر الكلي له[١] .

الثانية : موضوع الخطاب : ويقصد بموضوع الخطاب بنية دلالية تصب فيها مجموعة من الآيات بتضافر مستمر عبر متواليات قد تطول أو تقصر بحسب ما يتطلبه الخطاب[٢] ، وموضوع الخطاب في الآيات السابقة لهذه الآية يتناول الفتنة بشكل عام ، وهذا معنى قوله : إن العموم هو طبيعة هذه الآية كما هو طبيعة ما قبلها .

(١) ينظر : المنهج البنائي في التفسير : ١٨ . ١٩ ، واستقبال النص عند العرب : ٧٠ .

(٢) ينظر : لسانيات النص : ١٨٠ .

ويمكن تلمس مواضع المرجعية (الإحالة) في التفسير على النحو الآتي :

٨٣/١ ، ٢٢٧ ، ٢٥٨ .

٩١/٢٨/٣ .

١١٨/٥٧/٤ ، ٢٥٢ .

٦٢/٥ ، ١٧٢ .

٦٦/٦ ، ٢١٦ .

٥٢٤/٧ .

١٥/٨ ، ٥٤ ، ٩٥ .

٩١/٩ .

١٣٣/١٠ ، ٢٧٣ .

٧٧/١١ ، ٢١١ .

١٧٩/١٢ .

٦٤/١٣ ، ١٢٣ ، ١٨٩ .

١٥٦/١٥ ، ٢٤٨ .

١٣٢/١٨ ، ٢٤٠ ، ٣٦١ .

٢٦١/١٩ ، ٢٩٩ .

٢٥٨/٢٠ .

١٨٣/٢١ ، ٢٥٣ ، ٢٩٧ .

٢٠٥/٢٢ ، ٣١٠ .

٩١/٢٣ ، ١٦٢ .

٢٥٣/٢٤ ، ٢٦٢ ، ٤٠١ .

المبحث الثاني
الوسائل الدلالية

١. السياق

يشكل السياق محورا مهما من محاور الدرس اللغوي الحديث ، فلم يهتم به علم اللغة النصي وحده ، بل كان محور اهتمام علم اللغة بشكل عام ، مع تأكيد أن هذا الاهتمام بالسياق ، وأثره في توضيح المعنى ، لم يكن وليدا للدراسات اللغوية الحديثة ، بل اهتم به علماء العربية بداية بسيبويه (ت١٨٠هـ) ، والجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، والمبرد (ت٢٨٥هـ) وابن جني (ت٣٩٥هـ) ، والجرجاني (ت٤٧١هـ) وغيرهم[١] .

والسياق ((هو كل ما يكشف اللفظ الذي يراد فهمه من دوال أخرى سواء أكانت لفظية ، كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي يراد فهمه كلاما واحدا مترابطا أم حالية ، كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام ، وتكون ذات دلالة في الموضوع))[٢] .

والسياق عند فيرث يشمل النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة ، فالسياق على وفق هذا ينبغي ألا يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة حسب ، بل القطعة كلها والنص كله[٣] .

ولا ينكشف المعنى إلا من تسييق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة ، فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة لوحدات أخرى ، وان معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى[٤] . وهي

---

(١) ينظر : فقه اللغة وعلم اللغة : ٢٣٨ وما بعدها ، وعلم اللغة النصي : ١٠٥/١ .

(٢) دروس في علم الأصول : ٢٩٧/١ . ٢٩٨ ، وينظر : اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية : ١٥٥ .

(٣) ينظر : دور الكلمة في اللغة : ٥٥ .

(٤) ينظر : علم الدلالة ، عمر : ٥٦٨ ، وتراكيب الجمل عند الأصوليين : ٢٤٤ ، وعلم الدلالة ، الوشن : ٩٧ ، والنقد والدلالة : ٧٣ .

((التي يحكم بواسطتها (كذا)[١] هل كان المعنى المقصود هو الأصلي أو المجازي؟ وهي التي تقضي بأن في الكلام كناية أو تورية أو جناسا ...الخ))[٢] .

وإذا كان السياق هو الذي يعطي المدلولات ، فإنه من جانب آخر يعطي الشكل التركيبي للعبارة فـ((كلما أتيح لنا . بدقة . رصد السياقات التي تحيط بعملية الإبداع ، استطعنا تفهم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام))[٣].

والسياق من المحاور المهمة التي اشتغل بها علماء النص ، ولأهميته في البحث النصي أطلق (فان دايك) أحد رواد لسانيات النص عنوان (النص والسياق) على أحد أهم أعماله في مجال علم النص . ولم تكن أهمية السياق مقصورة على تحديد معنى الوحدات اللغوية حسب ، وإنما في تحديد الكلمة أيضا ، وتحديد معاني الكلمات يؤدي إلى بيان دلالة النص ومن ثم التماسك الدلالي ، ويذهب الباحثون إلى أن ملاحظة السياق والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ضرورية ومفيدة جدا في فهم القرآن ومواضعه وأهدافه[٤] .

وإذا تتبعنا السيد المفسر في تفسيره لا حظنا استناده في تفسير آيات كثيرة جدا إلى قرينة السياق لبيان المعنى المراد من الآية ، ونجد أنه سجل ملاحظة عامة على عدد من المفسرين ؛ لاستغراقهم في الفهم الحرفي والقاموسي لآيات القرآن فكتب بهذا الصدد : ((ولعل مشكلة الكثيرين من المفسرين في تفسيراتهم لكلمات القرآن أنهم يحملونها على معناها الحرفي غير ملتفتين إلى أساليب البلاغة من الاستعارة والمجاز من خلال القرائن المتنوعة التي يحددها السياق العام للكلمة الذي يتحدث عن العمق المعنوي لا عن السطح المادي بطريقة الإيحاء))[٥] .

---

(١) الصواب : بوساطتها .

(٢) البيان في روائع القرآن : ١/١٧٣ . ١٧٤ .

(٣) البلاغة والأسلوبية : ٢٤٢ .

(٤) ينظر : القرآن المجيد : ٢٠٤ .

(٥) التفسير : ١٠/٢٨ . ٢٩ ، وينظر : فضل الله مفسرا : ٨٥ .

واستعمل المفسر أكثر من تعبير للدلالة على السياق ، فقد استعمل مفردة السياق أحيانا ، واستعمل (الجو القرآني) والمقصود به السياق أحيانا أخرى[١] .

ومن الآيات التي استعمل فيها المفسر قرينة السياق لبيان التماسك النصي :

قوله تعالى: ((وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ))[٢].

يقول المفسر : ((والشراء هنا بمعنى البيع ، فقد باعوه بثمن زهيد بدراهم معدودة ، يمكن معرفتها بالعدد لقلتها ، و(وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) لأنهم أرادوا التخلص منه بسرعة ...والظاهر أن الضمير راجع إلى القوم الذين أخرجوه من البئر وأسروه بضاعة لأن السياق يوحي بذلك ، ولا يلتفت إلى احتمال أن اخوة يوسف هم الذين باعوه بعد أن اكتشفوا إخراج السيارة له ، فادعوا انه عبدهم فباعوه منهم ، لأن هذا خلاف الظاهر))[٣] .

عمد السيد المفسر إلى الاستعانة بالسياق لبيان المعطى النصي للآية الكريمة من طريق :

أولا : تفسيره لكلمة الشراء بمعنى البيع إذ جاءت مفردة الشراء لمعنى غير معناها الحقيقي ، وإنما خرجت من طريق المجاز لمعنى مغاير هو بالعكس من المعنى الأصلي للكلمة ،وتأتت هذه الدلالة لديه من السياق الذي وردت فيه، ذلك أن ((المتكلم يضع ألفاظه في سياق خاص ليدل بها على ما يريد من مقصد ، وبالتالي (كذا)[٤] فانه بالسياق يمكننا فهم ما يراد من الألفاظ ، أن تحمل على الحقيقة أو المجاز أو الرمز))[٥] .

ثانيا : إرجاعه الضمير إلى القوم لا إلى أخوة يوسف (عليه السلام) ؛ لأن سياق الآية . كما يرى . يوحي بذلك ، فالسياق يتعلق بالإطار الداخلي للغة وبنية

---

(١) ينظر : التفسير : ٢٢١/٥ ، ٣٠٥ ، ١٠٨/١٨ ، ٦٥/٢٤ وغيرها .

(٢) يوسف : ٢٠ .

(٣) التفسير ١٧٨/١٢ . ١٧٩ .

(٤) الصواب : من ثم .

(٥) آليات قراءة النص الديني (بحث) : ٩٥ .

النص وما يحتويه من قرائن وروابط تساعد على الكشف عن دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية وهي داخلة في نطاق التركيب ومن ثم ((اثر هذه الوحدة اللغوية في إنتاج دلالة معينة لدى متلق معين))[١] .

قوله تعالى : ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ))[٢] .

يقول المفسر : ((سبحان اسم مصدر للتسبيح بمعنى التنزيه ،ويستعمل مضافا، وهو مفعول مطلق قائم مقام فعله ، فتقدير (سبحان الله) سبحت لله تسبيحا، أي نزهته عن كل ما لا يليق بساحة قدسه ، وكثيرا ما يستعمل للتعجب ، ولكن سياق الآيات يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان ، وان أصر البعض على كونه للتعجب))[٣] .

يرى المفسر ، أن كل سمة لغوية تتضمن في نفسها قيمة أسلوبية معينة ، إنما تستمد قيمتها الأسلوبية من سياق النص أو الموقف الذي ترد فيه ، وهذه القيمة قابلة للتغير بتغير السياق الذي توجد فيه والموقف الذي تعبر عنه .

فالدلالة المعجمية لكلمة (سبحان) هي التنزيه ، وقد وردت في الآية الكريمة بحسب المفسر بهذا المعنى لبيان دلالة نصية معينة للآية ، هي دلالة التنزيه والتقديس كما يؤكدها سياق الآية ،ورد الرأي الذي يرى أن سبحان هاهنا للتعجب، ويمكن القول إن المعنى السياقي يفهم منه أمران :

الأول : أن معنى اللفظ يتحدد تبعا للسياق اللغوي الذي يرد فيه اللفظ ، إذ يكون معنى اللفظ جزءا من معنى السياق جميعه .

---

(١) علم اللسانيات الحديثة : ٥٤٢ .

(٢) الإسراء : ١ .

(٣) التفسير : ١٧/١٤ .

الثاني : أن للسياق معنى يتحدد بناء على معاني الألفاظ التي ترد فيه ، والعلاقات التي تربط بينهما في بناء واحد[١] .

قوله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] .

يقول المفسر : ((وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) كناية عن حالة الذهول والجزع الذي يستلب العقل ، مما يجعل القلب فارغا من العقل الذي يفكر بهدوء ...وذلك كما في قوله تعالى ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾[٣] ، أي جوف لا عقول فيها ، ومنه بيت حسان[٤] :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء

ولعل هذا الأقرب من سياق الآية ، إلا أن هناك تفسيرا آخر ذكره الزمخشري واستقربه صاحب الميزان ، أي وأصبح فؤادها فارغا من الهم إذ سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه ، وقد علل صاحب الميزان ترجيحه له ... أن ظاهر السياق أن سبب عدم إبدائها له فراغ قلبها ، وسبب الربط هو قوله تعالى ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾[٥] [٦] .

ولكننا نلاحظ على ذلك أن الآية تتحدث عن موقف أم موسى كأم طبيعية ، لا تعرف مصير ولدها الذي رمته في السجن ، فهي تفكر بحيرة وقلق في ما يعيش

---

(١) ينظر : مفهوم المعنى (بحث) : ٦٥ .

(٢) القصص : ١٠ .

(٣) إبراهيم : ٤٣ .

(٤) ينظر : ديوان حسان : ١٨/١ ، وهو من الوافر .

(٥) القصص : ٧ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٧٩٥ ، والميزان : ١٢/١٦ .

في داخلها من الأفكار المتضاربة ؛ ولذلك يعني فراغ قلبها أنه لا يحمل في داخله ما يمكن أن يحقق لها الثبات والاستقرار في الموقف))[١] .

يرى السيد المفسر أن الألفاظ الداخلة في تركيب معين تتعرض بسبب السياقات اللفظية والمقامية للتغير على مستوى الحقيقة والمجاز ، ومن ثم المشاركة في إعطاء الدلالة النهائية للنص الذي وردت فيه ، وإذا كان ((التركيب القرآني يميل إلى التصوير على سبيل التشخيص والتجسيم))[٢] ، فقد ذهب إلى أن الآية كناية عن حالة الذهول والجزع التي انتابت أم موسى (عليه السلام) ، مستندا إلى تكرار المجاز عبر الآيات القرآنية للتعبير عن الهلع والخوف (فرمزية الخطاب الديني ومجازيته هما اللذان يميزان الخطاب القرآني عن (كذا)[٣] غيره ، ويوفران له عنصر الحياة ويفتحان أمامه آفاق التأويل))[٤] ، ورد الرأي الذي ورد في الكشاف وارتضاه صاحب الميزان ؛ بسبب أن الآية تتحدث عن الحالة الطبيعية لام موسى ، وكونها لا تختلف عن أي أم أخرى ، ونجد أنه استعان بقرينة السياق لبيان مجازية الآية المباركة ، وقرينة السياق هي التي يحكم بوساطتها على المعنى المجازي أو الأصلي . كما يرى بعض الباحثين . في دراسة نص معين ، فضلا عن القرائن الأخر[٥] .

قوله تعالى : ((قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ))[٦] .

يقول المفسر في هذه الآية : ((هل هو حديث عن حادثة القتل التي حدثت لأولئك المؤمنين ليكونوا المراد من أصحاب الأخدود ، أو دعاء بالهلاك ليكون المراد منهم الطغاة الذين قاموا بالتعذيب والإحراق ؟ الظاهر هو الوجه الثاني ، لأن السياق

---

(١) التفسير : ٢٦٩/١٧ . ٢٧٠ .

(٢) مفهوم الإعجاز في القرآن : ٢٩٩ .

(٣) الصواب : من .

(٤) المقاصد الكلية : ٦٦ .

(٥) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١٧٣/١ ، وبلاغة الخطاب وعلم النص : ١٨٤ .

(٦) البروج : ٤ .

مسوق لإعلان الغضب على الفاعلين ، كما أن الضمير في الآيات الأخرى يوحي بذلك))[١] .

رجح السيد المفسر الوجه الثاني ، أي خروج الكلام مخرج الدعاء استنادا إلى قرينتين هما :

القرينة السياقية : إذ إن الكلام مسوق لإعلان الغضب على الفاعلين . كما عبر المفسر . ؛ لذا توحي تداولية الخطاب بأن الكلام جار مجرى الدعاء على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو (نص في موقف)[٢] .

القرينة النحوية : يرى المفسر أن وجود الضمير في الآيات التالية قرينة على إرادة الدعاء لا الإخبار من الآية الكريمة ، فتشكيل الدلالة التركيبية وتنوعها يتأتى من تفاعل المفردات المعجمية والنظام النحوي الذي يضمها ؛ ومرجعيات الضمائر ، وغير ذلك[٣] ، والمتلقي محمول على أنه مدرك النظام العلامي الذي يفكك به النص فيفهم مضمونه[٤] ، وهذا ما تعاهده المفسر مع الآية الكريمة .

(١) التفسير : ١٦٧/٢٤ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٩٨ .

(٣) ينظر : دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين : ١٧٥ .

(٤) ينظر : مباحث تأسيسية في اللسانيات : ١٦٥ .

ويمكن تلمس مواطن السياق عند المفسر في التفسير على النحو الآتي :

٢٧٧/١ .

٤٤/٢ .

١٨٨/٣ .

١٣/٤ ، ٥٦ ، ٢٨٤ .

٣٩/٥ ، ١٣٦ ، ٢٦٠ .

١٠٢/٦ .

٤٦/٧ ، ٢٠٦ .

٨١/٨ ، ٩٠ ، ١١٨ .

٢٠/٩ ، ٤٩ ، ٧٨ .

٢٠٤/١٠ ، ٢٦٣ .

١٥٢/١١ .

٣٦/١٢ ، ٩٨ ، ٢٨٢ .

١١/١٣ ، ٢٥ ، ٢٤٥ .

١٧/١٤ ، ١٦٤ .

٧٤/١٥ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ .

٦١/١٦ ، ٩٦ ، ٢٧٨ ، ٣٤٧ .

١٦٠/١٧ ، ٣٢٢ ، ٢٤٦ .

٢٨٠/١٨ ، ٣٥٣ .

٢١/٢٠ ، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٦٦ .

٢١ ، ٧١ ، ١٣٩ ، ٢٧٥ .

١٢٧/٢٢ ، ٢٩٢ .

٦٩/٢٣ ، ٢٤٤ .

٣٢/٢٤ ، ٧٤ ، ٢٦١ .

٣ .المقام

أولى اللغويون . منذ بداية السبعينيات . اهتماما متزايدا لأثر المقام في فهم النص ، وإذا كان المعنى لا يتعين غالبا إلا بمعرفة المقام ، فقد عد بعض الباحثين المقام (كبرى القرائن) ، فمعرفة المقام الذي يقال فيه النص يساعد على الكشف عن أوجه الدلالة ، فيكون المحلل قادرا على تحديد الحقائق المرتبطة بالموضوع مما يقدمه المقام[١] .

والمعنى المقامي مكون من ظروف أداء المقال التي تشتمل على القرائن الحالية المحيطة بالحدث اللغوي ، ويتمثل في الظروف الاجتماعية ، والنفسية ، والثقافية وغيرها ، إذ تحاط عملية التخاطب عادة بجملة من الملابسات، والأحوال، والظروف ، التي تتكاثف جميعا في التأثير في دلالة الخطاب[٢] .

والاعتماد في تحليل المعنى على الموقف ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية الحديثة ، والنظرة إلى المعنى من طريق الموقف نتيجة إلى عدد من المساوقات ، مثل المتكلم والقول والسامع والظروف الاجتماعية التي تشمل العرف والعلاقات الاجتماعية ... الخ ، إذ يكون لأي واحد من مساوقات الموقف هذه أثر في فهم المعنى[٣] ، فضلا عن ((أن جانبا من معنى النص يمكن في بعض الأحوال تنويره إذا ما نظرنا في الظروف المحيطة به))[٤] .

والمقام بنية سيموطيقية يتشكل من ثلاثة عناصر متغايرة هي : المجال والعلاقة والمنحنى ، ويقصد بالمجال اتخاذ النص وظيفة دلالية من طريق الهدف الذي يرمي المتكلم تبليغه ، ويقصد بالعلاقة : العلاقات القائمة بين الباث /المتلقي،

---

(١) ينظر : تحليل الخطاب : ٤٤ ، واللغة العربية معناها ومبناها : ٣٩ ، والمسافة : ٣٥٦ ، ووصف اللغة العربية دلاليا : ١٣٩ .

(٢) ينظر : العربية وعلم اللغة البنيوي : ١٣٥ ، والكلمة دراسة لغوية معجمية : ١٥٥ .

(٣) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١/٤٠٠ .

(٤) نظرية المعنى في النقد العربي : ١٦٢ .

أما المنحنى ، فيراد به الإشارة إلى الأداة الرمزية والقنوات البلاغية المستعملة للتواصل[١] .

ويولي علم اللغة النصي أهمية كبيرة للمقام في تفسير النصوص وبيان أوجه التماسك الدلالي الذي يكتنفها ، فالعلاقات بين التداولية ومفاهيم الموقف والمقام والاتصال علاقات وثيقة ، فهي تعنى بالعلاقات بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم ، وتعنى كذلك بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناضجة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه النص[٢] ، ويتناول التحليل المقامي سياقات النص الاجتماعية والثقافية ، وكذلك علاقته بالنصوص الأخرى التي تشبهه بالمعلومات التي يقدمها ، وتقبل المتلقي لها وتفسيرها وغير ذلك ، وكل ذلك تستدعيه وتجلوه معايير القبول ، والقصدية ، والاعلام ، والتناص[٣] .

وقد أولى المفسر عناية فائقة لشأن المقام في فهم النص القرآني في آيات كثيرة ، نقتطف منها بعض الآيات وعلى النحو الآتي :

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤]

---

(١) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٨ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١١٢ .

(٣) ينظر : دراسات في اللسانيات التطبيقية : ٥٩ .

(٤) البقرة : ١٠٢ .

يقول المفسر : ((أما كلمة (وتتلو) فالظاهر بقرينة المقام أنها كناية عن النسبة الكاذبة،إذ لا معنى للقراءة المجردة في هذا المجال ،كما أن معنى الإتباع لا ينسجم مع كلمة (واتبعوا) ، أما كلمة (وما أنزل) فهي معطوفة . ظاهرا . على كلمة (وما تتلوا) لأن ذلك أقرب إلى الانسجام مع طبيعة الآية ، لأن ما أنزل على الملكين ليس شيئا آخر غير السحر ، ليكون معطوفا على الكلمة ونفسها))[١].

تحدث المفسرون عن كلمة . تتلو . في هذه الآية ومعناها المراد ، أبمعنى تقرأ أم تكذب أم تتبع ؟ وإذا كانت المعرفة التفسيرية تستدعي استقصاء محتوى البنى النصية في ترابطها الداخلي في النص وتماسكه ومن ثم الدلالة المتولدة من هذا التماسك ، نجد أن المفسر عمد إلى قرينة المقام لبيان معنى المفردة وبيان الدلالة الكلية للوحدة النصية برمتها ، ذلك أن المصطلح القرآني يحمل وحده معنى فرديا خاصا ، بيد انه إذا جاء في موقع معين عن سياق الآية سيكون ذلك باعثا لتوليد مفهوم يأتي من الارتباط الذي ينشأ من موقع المفردة مع بقية الكلمات في الآية[٢] .

وجاءت كلمة (تتلو) برأيه كناية عن النسبة الكاذبة ، لأن معنى الكذب يناسب المقام الذي وردت فيه الآية ، واقرب للانسجام مع أجوائها ومقاصدها الدلالية ، إذ ((تثير الوجوه الدلالية قضايا يجب أن ندرسها في سياقها الخاص ضمن وحداتها النصية))[٣] .

وما ذهب إليه من عطف (ما انزل) على (يتلو) فهو تأييد لرأيه حول طبيعة الانسجام الموجود في الآية ، وقد علله بالقول : ((وإن ما انزل على الملكين ليس ...الخ))[٤] ، ولاسيما إذا لاحظنا . مثلما يرى المفسر . أن الآية نزلت في اليهود ،

---

(١) التفسير : ١٤٤/٢ .

(٢) ينظر : المنهج الترابطي (بحث) : ٢٢٣ .

(٣) العلاماتية وعلم النص : ١١١ .

(٤) التفسير : ١٤٤/٢ .

وما كانوا يضمرونه من العداوة لله ورسوله الكريم ، فيجعل الكلمة اقرب إلى تخرصاتهم وكذبهم[١] .

قوله تعالى : ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢] .

يقول المفسر في الآية : (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)، ((ذهب بعض المفسرين إلى أن الحديث عن الله لا عن سيده ، فقد استعاذ يوسف (عليه السلام) به من الخضوع لإغراء الشهوة ، ثم عبر عن إحساسه بنعمة الله بالمستوى الذي يردعه عن الاندفاع للخيانة ، ولهذا كان من المناسب إثارة جانب الاحترام الذي يشعر به يوسف تجاه سيده))[٣] .

يذهب دارسو النصية إلى أن فهم النص أو تأويله يعتمد على العالم الذي يحيل إليه النص ، ويعتمد على قدرة المتلقي على إدراك مرجعية النص[٤] ، ومن هذه النقطة ، ذهب السيد المفسر في كلام طويل له في الآية إلى أن الضمير يعود إلى سيد يوسف (عليه السلام) ،استنادا إلى الأجواء التي تلف الآية الكريمة على حد تعبيره ، فضلا عن أن التعبير بكلمة (ربي) كان متعارفا في الحديث عن السيد المالك في ذلك المجتمع كما ذهب المفسر ، أما عدم تقدم ذكره أو قرب لفظ الجلالة من موقع الضمير فليس بشيء يحقق الظهور لما يريدونه ، لأن الحديث عنه قد تقدم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾[٥] ، كما أن جود الحادثة يوحي به بشكل بارز ،

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٣/٢ .

(٢) يوسف : ٢٣ .

(٣) التفسير : ١٨٥/١٢ .

(٤) ينظر : دليل الناقد الأدبي : ١٧٥ .

(٥) يوسف : ٢١ .

فالموقف من الزوجة التي تريد خيانة زوجها تبعث على التفكير بالزوج بطريقة طبيعية ، تماما كما لو ذكر باللفظ[١] .

ويمكن أن نلحظ أنه استعمل الوصف التحليلي في سياق تفسيره للآيات الكريمات من حيث هي وحدة نصية متماسكة ، ولذا إنه يعتمد على الرصد الواعي المدرك لطبيعة بناء السياقات والتراكيب اللغوية ، وحركة القرائن والمقامات داخلها وخارجها ، وهذا ما يوضحه قوله : إن القرآن الكريم هو المرجع في اللغة وليست كتب اللغة[٢] .

قوله تعالى : ((ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ))[٣] .

يقول المفسر ((السوأى هي الحالة السيئة ، تأنيث للسوء ، كالحسنى تأنيث الأحسن . وهناك تفسيران للآية :

أحدهما : أن تكون (السوأى) كناية عن العذاب باعتبار (كذا)[٤] أنه الأسوأ في ما يصل إليه الإنسان ، وبذلك يكون معنى الآية ثم كان عاقبة هؤلاء الذين أساءوا (كذا)[٥] العمل ، العاقبة الأسوأ ، وهي العذاب ، لأنهم كذبوا بآيات الله واستهزأوا (كذا)[٦] بها ، على أساس أن كلمة (السوأى) اسم كان وتكون كلمة (عاقبة) خبرا مقدما .

ثانيهما : أن تكون كلمة (السوأى) تعبيرا عن العمل السيئ ، وهو المعاصي التي يمارسونها ، فتكون مفعولا لأساؤوا ، وبذلك يكون المعنى ثم كان عاقبة الذين

---

(١) ينظر : التفسير : ١٨٣/١٢ .

(٢) ينظر : التفسير : ١٤٢/٥ . ١٤٣ .

(٣) الروم : ١٠ .

(٤) الصواب : بسبب .

(٥) الصواب : أساؤوا .

(٦) الصواب : استهزؤوا .

عملوا الأعمال السيئة التي كان ينهاهم عنها الرسول أن أمرهم انتهى إلى التكذيب والاستهزاء ...ويعلق صاحب الميزان على المعنى الثاني بأنه صحيح في نفسه ، لكنه مخالف لسياق الآيات مع موافقة المعنى الأول له ، لأن المقام مقام الاعتبار والإنذار ، والمناسب له بيان انتهاء معاصيهم إلى سوء العذاب ، لا انتهاء معاصيهم المتفرقة إلى التكذيب والاستهزاء الذي هو أعظمها[١] .

أما تعليقنا على ذلك فهو أن هذه الآية تتحدث عن حالة التكذيب الصادرة من الكافرين ، فيما يستتبعه من الاستهزاء ، لأن الجو جو المواجهة التي كانوا يواجهون بها الرسل الذين جاءوا لينذروهم بعذاب الله ليتركوا النهج السيئ الذي يسيرون عليه ، وليس الجو هو جو الحديث عن العذاب ، بل أن ذلك لاحق للآية فيما يأتي من الآيات الأخرى))[٢] .

التدبر فيما أورده السيد المفسر يعطينا تصورا عن طبيعة القراءة الكلية التي يتعاهدها مع النص ، إذ ذهب إلى ترجيح الرأي الثاني ،وعد (السوأى) تعبيرا عن العمل السيئ وجعلها معمولا للفعل (أساؤوا)،ولم يرتض رأي السيد الطباطبائي ، ورد عليه بقرينة الجو (المقام) الذي هو جو المواجهة الذي يعيش فيه الكافرون في تكذيبهم واستهزائهم ، وهو قرينة من خارج النص استند إليها في استنباط الدلالة التي يراها ، إذ إن هناك عناصر مهمة من خارج النص تشترك في فهم النص أو إعادة تفسيره ، كالموقف والتصور الذهني لمحتويات النص وغيرها ، و((تضافر هذه المعطيات والعناصر كلها هو ما يحقق بناء النص وفهمه ، أي ما يحقق الاتساق الدلالي والتضام النحوي ، فيتم بذلك نسيج النص أو سبكه))[٣] .

أما ما ذكر من كون (السوأى) مبتدأ مؤخرا ، و(عاقبة) خبرا مقدما ، فلا يراها دليلا على المعنى المراد من الآية للإيحاء بأجواء العذاب ، وإنما يفهم العذاب من الآيات التي تلي هذه الآية ؛ ذلك أن المعرفة اللغوية وحدها لا تكفي في فهم

---

(١) ينظر : الميزان : ١٦٤/١٦ .

(٢) التفسير : ١٠٨/١٨ . ١٠٩ .

(٣) المسافة : ٣٥٤ .

المقـولات اللغويـة وتأويلهـا ، فـالمتلقي بحاجـة إلـى الوقـوف علـى ملابسـات الـنص والأحوال التي قيل فيها ، كي يبلغ دلالته وقصديته .

ويمكن تلمس مواضع المقام عند المفسر على النحو الآتي :

١٦٨/٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٦، ٢٨٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ .

٤٤/٥ ، ١٤٧ ، ٢٠٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ .

٦٣/٦ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥٣ .

٩٠/٧ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، ٣٩٩ ، ٤١١ ، ٤١٦ ٤٤٦ ، ٤٥٣ .

١٨٥/٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٣٨ ، ٣٥٨ ، ٣٧٧ .

٢١٦/٩ ، ٣٠٠ .

٩١/١٠ ، ٣٠٠ ، ٣٣٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٤٢٩ .

٥٥/١١ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ٢٠٦ .

١٣/١٢ .

٣٠٥/١٣ .

١٢٣/١٤ ، ١٦٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٠ .

٢١/١٧ .

١٧٩/١٨ ، ٣٠٥ ، ٣٣٢ .

١٦١/٢٢ ، ٢٧٣ .

٥٧/٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٩٢ ، ٤٦٥ ، ٤٧٦ .

٣ .المكنون المعرفي (المعرفة القبلية)

يعد المكنون المعرفي من الوسائل المهمة التي يستعان بها لبيان التماسك النصي . لنص ما . ومن ثم بيان التماسك الدلالي الناتج عن بناء النص وتماسكه بشكل معين ، فالمعروف أن تلقي القارئ للنص يعتمد من ضمن ما يعتمده ((على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص ..السابق له قراءتها))[١] .

ونقصد بالمكنون المعرفي ((كل معرفة تسبق قراءة النص ، سواء كانت معرفة حسية أم عقلية أم غيرها))[٢] ، ومن هذه الأطر مخزون المتلقي من المعلومات فيما يخص موضوع النص ، فما إن يقرأ أو يسمع شيئا عن الموضوع حتى تبدأ هذه المعلومات بالتدخل لوضع بعد لفهم المتلقي . قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ))[٣] ، فمن يقرأ (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) من غير أن يكون عنده مكنون معرفي عن المخاطب وهو النبي (ص) وانه خير من لا يتجاوز حدود الله ابتغاء مرضاة أزواجه ، يدرك أن جملة (يبتغي) جملة خبرية مؤكدة لمضمونها ، فيقرأها بالاستفهام الإنكاري وليس بالإخبار ، وكذا من يتصد لفهم النص وعنده معلومات كافية عن الإشارات المعرفية والحضارية التي فيه ، فانه سيجد إدراكه أكثر بكثير ممن يقل عنه في هذا ، وان تعادلت كفايتهما اللغوية[٤] .

وشغلت الممارسة القرائية ، أو كيف تتم عملية القراءة ؟ عددا من الباحثين، ومن أهمهم (رولان بارت) الذي يرى أن القارئ لحظة إقباله على النص لا يأتي من فراغ ، بل يأتي محملا بروافد ثقافية ،وأعراف لغوية ،ووعي بالتاريخ الأدبي،

---

(١) لسانيات النص : ٦١ .

(٢) آليات قراءة النص (بحث) : ٩٢ .

(٣) التحريم : ١ .

(٤) ينظر : المسافة : ٣٥٧ .

وبمخزون من النصوص السابقة ، فيتم التفسير أو التأويل في إطار يضعه المتلقي بما يمتلك من فهم سابق أو معرفة ، تشكل البناء القبلي للفهم[١] .

وطبقا لهذا ، مالم تكن لدى المفسر قبليات ومقولات سابقة لن يكون بإمكانه تفسير نص معين ، فلابد له . إذن . من معلومات أولية ولو كانت مجملة ، إذ لا يمكن أن نفهم شيئا من نص من النصوص انطلاقا من المجهول المطلق ، فلكل باحث أو محقق ، سواء أكان مجال عمله خاصا بالتفسير أم بشيء آخر ، قبليات ومعلومات أولية حول الموضوع الذي يروم دراسته ، فالمعرفة الجديدة المنبثقة عن عمليات التفسير تستند دائما إلى قبليات معينة تبدأ باستعمال هذه القبليات ولا تكون إلا بها ، وهذه نقطة تكتسب أهمية بالغة لمتابعة كيفية فهم النصوص[٢] .

وينبغي أن نشير هنا ، إلى انه ليس لعلاقات المؤلف وقبلياته وظروفه ـ وظروف المخاطبين التاريخية . تأثير كلي في فهم النص وتفسيره ، إذ إن النص نفسه يبين علاقاته وانتظاراته في ظروف المخاطبين التاريخية في كثير من الأحيان .

وذهب بعض الباحثين إلى أن الذهن البشري يستجمع المعارف القبلية مع ما يضاف من القرائن الحالية ليصبها جميعا في إطار فهم النص ، فهذه هي ملكة الذهن التي تستجمع ما أمكنها من الآليات المعرفية المناسبة في فهم ما يراد من نص بحسب ألفاظه وسياقه ، وعلى هذه الشاكلة يكون نفاد المفسر مع النص المروم تفسيره[٣] .

ولم تكن المعرفة القبلية غائبة عن ذهن المفسر ، إذ عبر عنها بالقول : ((إن مسألة التفسير تبقى تخضع لثقافة المفسر في وعيه للقضايا التي تحدث بها القرآن والتشريعات التي عالجها ، والإشكالات التي أثارها الآخرون في حركة الصراع بين

(١) ينظر : نظريات قراءة النص (بحث) : ١١٩ .
(٢) ينظر : هرمنيوطيقا الكتاب ، فهم النص (بحث) : ٩٥ .
(٣) ينظر : آليات قراءة النص الديني (بحث) : ١٠١ .

الكفر والإيمان))[1] . ويشير في موضع آخر إلى ملاحظة حيوية وهي ((أن فهم النص لابد أن يخضع لقواعد تتحرك في داخل النص وخارجه على أساس أن لكل لغة قواعدها في وعي المعنى))[2] .

ويمكن بيان استناده إلى المكنون المعرفي في التفسير لبيان التماسك الدلالي في بعض الآيات القرآنية وعلى النحو الآتي:

قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[3]

يقول الفراء في الآية ما نصه : ((قال العرب : (إلى) في هذا الموضع على جهة التعجب ، كما تقول للرجل : أما ترى إلى هذا (والمعنى . والله أعلم . هل رأيت مثل هذا ! أو رأيت هكذا ! ، والدليل على ذلك أنه قال : ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ))[4] فكأنه قال : هل رأيت كمثل الذي حاج إبراهيم في ربه))[5] ، وذهب النحاس (ت٣٣٨هـ) إلى معنى قريب من هذا[6] .

يقول المفسر : ((والهمزة للاستفهام التعجبي ، أي لم ينته علمك ورؤيتك، دخلت (إلى) من بين حروف الجر ، لأنها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية ، صار

---

(١) ينظر : تأملات في المنهج البياني (بحث) : ٢٢ .

(٢) من وحي القرآن وثلاثية الظهور ، مقابلة مع المفسر : ٨١ .

(٣) البقرة : ٢٥٨ .

(٤) البقرة : ٢٥٩ .

(٥) معاني القرآن : ١٧٠/١ .

(٦) ينظر معاني القرآن : ٩٧/١ .

الكلام بمنزلة : هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته ؟ ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه))[١] .

يرى السيد فضل الله أن الاستفهام في الآية الكريمة خرج مخرج الاستفهام التعجبي بقرينتين:

أولهما : القرينة النحوية : وهي دخول (إلى) في هذا الموضع،وهي طريقة العرب كما يفهم من كلام الفراء ((ولا غنى للمفسر من أن يأخذ أدوات التفسير وأولها معرفة النحو العربي))[٢] . ويبدو لي أن المفسر استند إلى فكرة الخطية ، وهي إحدى المبادئ التي تنطلق الألسنية منها لدراسة النص ، إذ تتألف الجملة من عناصر يرتبط بعضها ببعض ، ويأتي كل منه إثر الآخر في نسق معين[٣] ، وتجلت الخطية . هنا . في ورود الهمزة للتعجب ضمن نسق تركيبي معين .

وثانيهما : مكنون معرفي ، فالحوار كان بين إبراهيم (عليه السلام) وطاغية من أكثر الطغاة تمردا ، إذ بلغ به الطغيان حدا خيل إليه انه الإله الذي يجب على الناس أن يعبدوه من دون الله[٤] ، لذا جاءت الآية للدلالة على كونه لا يعدو أن يكون بشرا مخلوقا كبقية البشر الآخرين من قبل خالق الكون والناس جميعا ، ونجد هذا المفهوم التداولي واضحا في ذهابه إلى أن الاستفهام للتعجب ، فالعلاقات التداولية ومفاهيم الموقف والمقام والاتصال والنص علاقات وثيقة ، فهي تعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم[٥] .

---

(١) التفسير : ٦٢/٥ .

(٢) النحو العربي . دراسة نصية . : ١٣٧ .

(٣) ينظر : تراكيب الجمل عند الأصوليين : ١٧٩ .

(٤) ينظر : التفسير : ٦٤/٥ .

(٥) ينظر : علم لغة النص : ١١٢ .

قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ))[1]

يقول المفسر : ((...وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ..بالاستمرار على زوجيتكم لهن ، إذا أسلمتم وبقين على الكفر ، أو إذا كفرن بعد الإسلام ، فان الله لا يحل للمسلم الزواج من كافرة بمعنى الإلحاد أو الشرك ، فإن الظاهر من السياق إرادة ذلك من هذه الفقرة في الآية ، فلا يشمل أهل الكتاب ، لأن القرآن لا يستعمل هذا المصطلح في الحديث عنهم ، مع ملاحظة أن إطلاق الكافرين عليهم ممكن من جهة الكفر برسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عبر عن ذلك في سورة البينة في قوله تعالى ((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ))[2] ، ولكنه أطلق ذلك مع ذكر لكلمة (أهل الكتاب) وقد جاء في بعض الأحاديث المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) ما يوحي بشمولها لأهل الكتاب ، بما جعلها ناسخة للآية الكريمة التي تبيح نكاح أهل الكتاب ، فقد جاء في الكافي[3] بإسناده إلى زرارة عن أبي جعفر (محمد الباقر عليه السلام) عن قول الله تعالى ((وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ))[4] فقال هذه منسوخة بقوله ((وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)) ، ولكننا نلاحظ على هذا الحديث بأن النسخ غير وارد في

(١) الممتحنة : ١٠ .

(٢) البينة : ١ .

(٣) ينظر : الكافي : ٣٥٨/٥ .

(٤) المائدة : ٥ .

الآية ؛ لأن آية الممتحنة سابقة على آية المائدة نزولا ، فكيف يمكن السابق أن ينسخ اللاحق ، فلابد من تأويل الحديث أو طرحه))[١]

استند المفسر لبيان المراد من (الكوافر) في الآية الكريمة إلى ما اصطلح عليه (منسكي) بـ(الأطر المعرفية) التي يستعملها المتلقي عند قراءة النص ، فهي إطار نتذكره، ويتم تكييف دلالة النص وتوجيهها من طريق التنسيق بين قراءة النص والإطار المثبت في ذهن المتلقي[٢] ، والإطار المعرفي عنده . هنا . هو عدم استعمال القرآن الكريم لمصطلح الكفر للحديث عن أهل الكتاب ، إلا في آية واحدة ، بقرينة ذكرها السيد المفسر .

أما الاستدلال بالحديث على بيان نسخ الآية ، فلا يرتضيه المفسر ، استنادا إلى معرفة قبلية ، كون آية الممتحنة سابقة لآية المائدة نزولا ، فلا ينسخ السابق اللاحق ، وهذه إضاءة من خارج النص ، استعملها السيد فضل الله لفهم النص والكشف عن مكنوناته ، ذلك أن ((أية إضاءة خارجية على النص تتكفل بعملية الكشف سوف تفرض مسوغاتها))[٣] ، وهذه الإضاءة عنده هي ترتيب نزول السور القرآنية وتتابعها .

قوله تعالى : ((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))[٤] .

يقول المفسر في مضمون هذه الآية : ((هذا هو الاستفهام الذي لا يراد منه معرفة مضمونه لوضوح الجواب فيه ، ولكن أريد منه الإنكار على هؤلاء الذين يختارون في حياتهم ما لا يجوز للإنسان أن يختاره ، لأنه مرفوض من خلال

(١) التفسير : ١٦٥/٢٢ .
(٢) ينظر : المسافة : ٣٥٨ .
(٣) المنهج البنائي في التفسير : ٤٧ .
(٤) الملك : ٢٢ .

(كذا)[١] دراسة طبيعة الأشياء في ذاتها (كذا)[٢]..فهل يمكن أن يكون الإنسان السائر في الطريق المملوءة بالمرتفعات والمنخفضات والمزالق والمهالك وهو مكب على وجهه لا يرى ما حوله وما هو أمامه ، كمن يمشي بشكل طبيعي ، وهو مستقيم في خطه ، سوي في وضعه))[٣] .

خرج المفسر الاستفهام الموجود في الآية على أنه استفهام انكاري ، لوضوح الجواب في ذهن المتلقي ، واستند إلى المكنون المعرفي من كون الشيء السوي أهدى عند العقلاء ، ولم يتقيد بحرفية قواعد اللغة ويحمل الآية عليها فـ ((معرفة قواعد اللغة ومعاني مفرداتها لا تسعف وحدها في فهم التعبيرات اللغوية المستخدمة (كذا)[٤] ... وهو ما يجعل المخاطب في حاجة إلى عوامل متعددة أخرى تساعد في فهم حديث المتكلم ، بينها السياق الثقافي والاجتماعي وجملة الاستنتاجات الأخرى))[٥] .

واستند كذلك إلى المقصدية لتفسير النص ((فلمعرفة قصد الخطاب دخل كبير في توجيه الدلالة ومحاولة تحديدها مهما اختلفت صور الألفاظ وطرائق ترتيبها))[٦] ، فمقصدية النص ، الإنكار على الذين يختارون في حياتهم السير في طرق الضلالة عبر توجيه الاستفهام على انه استفهام إنكاري ، وتأتى هذا الفهم من رؤية للنص كلا متماسكا ، إذ إن السؤال ((كيف يمكن الوصول إلى حدس خاص بقصدية النص ؟ الجواب أن السبيل الوحيد للوصول إلى ذلك هو إخضاع هذه القصدية لسلطة النص باعتباره (كذا)[٧] كلا منسجما))[١] . فلا يصح النظر إلى دال الكلمة بوصفه دال

---

(١) الصواب : من طريق .

(٢) الصواب : في نفسها .

(٣) التفسير : ٢٦/٢٣ .

(٤) الصواب : المستعملة .

(٥) وصف اللغة العربية دلاليا : ١٢٠ . ١٢١ .

(٦) التصور اللغوي عند الأصوليين : ١١٣ ، وينظر : اللسان والميزان : ٢٥٩ .

(٧) الصواب : بعده .

(القصد) وإنما يجب أن ينظر إلى النص بوصفه دال القصد ، وهذا ما توخاه السيد فضل الله في رؤيته الكلية للنص وتفسيره الآية على الوجه الذي ذكرنا .

قال تعالى : ((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ))[٢]

يقول المفسر : ((لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) أي غير مقطوع ، بل هو ممتد متواصل ، وقيل : إن المراد به (ألمن) وهو القول الذي يمن به صاحب النعمة على آخذها بما يثقل عليه ، فالمقصود أن هذا الأجر لا يستتبع أي كلام يثقل على المؤمنين الصالحين ، بل لا يسمعون إلا كلاما طيبا يرتاحون إليه ، والظاهر أن المعنى الأول أقرب إلى الأخذ به ؛ لأن المن لا يكون ثقيلا إلا إذا جاء من بعض الناس الذين يتأذى بعضهم بكلام (المن) من البعض الآخر ، لأنه يوجه نوعا من المهانة والذل ، أما إذا كان المن من الله ، فانما يراد به تذكير عباده بنعمه ليشكروه وليعرفوا فضله عليهم ليعبدوه في مواقع عبادتهم . ولابد من الانتباه إلى أن هذا الاستثناء منقطع ، لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يدخلوا في ما تقدم من الحديث ، مما يجعل (ألا) بمعنى (لكن)))[٣] .

رجح المفسر الرأي الأول وهو تفسير (الممنون) بغير المقطوع استنادا إلى معرفتين قبليتين :

أولهما : قرينة عرفية اجتماعية ، فالمن الذي يوجب الذلة والمهانة إنما يكون بين الناس بسبب عدم كمالهم ، أما الله عز وجل الذي يمثل الكمال المطلق فلا يتصور منه (المن) إطلاقا ، وهذا ما استوحاه السيد فضل الله من النص ، لأن ((قراءة النص تكون من خيوط المرجعية التاريخية والدراسات الاجتماعية والدلالات اللغوية))[٤] .

---

(١) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : ٧٩ .

(٢) الانشقاق : ٢٥ .

(٣) التفسير : ١٥٩/٢٤ . ١٦٠ .

(٤) نظريات قراءة النص (بحث) : ١٢٢ .

وثانيهما : قرينة معرفية قرآنية ، وهذا ما يشم من قوله : إذا جرى (المن) في كلام الله ، فإنما يراد به تذكير عباده بنعمه[١] ، وهذا مكنون معرفي عند المفسر أفاد منه لفهم دلالة الآية الكريمة من طريق القراءة الكلية للنص القرآني ، فالقراءة الكلية للنص ، ذات اثر اشد سعة من القراءة التجزيئية والموضوعية أيضا، ما دامت الأخيرة تحصر المسألة في نظامها المحدد من غير أن تتجاوز إلى الأجزاء المساندة والمعمقة[٢] ، وتأتت هذه الالتفاتة للسيد فضل الله من طريق قراءة النص القرآني بوصفه وحدة متماسكة تبين صفات الباري . عز وجل . ومظاهر نعمه.

(١) ينظر : التفسير : ١٥٩/٢٤ .

(٢) ينظر : المنهج البنائي في التفسير : ١٩ .

ويمكن تلمس مواضع المكنون المعرفي عند المفسر في التفسير على النحو الآتي :

١٣٢/١ ، ١٥٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣ .

١٥٦/٢ .

٥٤/٣ ، ١٨٨ ،

٧٠/٤ .

٥٩/٥ ، ٢٥٤ .

١١٩/٨ ، ٢٦٤ ، ٣٨٤ .

١٠٢/٩ ، ٣٥٤ .

٢٦٠/١٠ .

٣٢/١١ .

١١/١٣ .

٨٨/١٤ ، ٢٢٢ .

٧٤/١٥ .

٦٠/١٦ ، ١٩٢ ، ٣٠٠ .

١٠٦/١٧ ، ٢١٠ ، ٣٥٣ .

٤٣/١٨ ، ١٠٨ ، ١٤٠ ، ٢٣٦ .

١٦٨/١٩ ، ٢٦٢ .

٢٢/٢٠ .

٢١٧/٢١ .

٦٠/٢٢ ، ١٦٥ .

٢٥٧/٢٣ .

المبحث الأول
البنى النصية الكبرى

يفترض باحثو النصية ابتداء ، أن بنية نصية كبرى هو افتراض جوهري في تحليل النص ، لأنه لا يؤدي إلى تصور دقيق للتماسك الكلي بين وحدات النص الكلية حسب ، بل يؤدي إلى تصور التماسك الجزئي بين الجمل والمتواصلات الجملية أيضا ، فرصد أوجه الترابط والانسجام والتكامل بين البنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية التي تجمعها في هيكل تجريدي من أهم مهام البحث النصي، وهذا ما يتضح بشكل جلي في تصور (دايك) للبنى الكبرى على أنها ((أبنية شمولية في محتوى النص))[١] .

وينبغي أن نشير إلى أن البنى الكبرى تكمن في تحديد ما هو أكثر جوهرية في النص من جهة الدلالة ((وبالتالي (كذا)[٢] تقتصر القواعد الكبرى على المعلومات الجوهرية في النظر ، أما التفاصيل فقد تكون مهمة في ذاتها لتحقيق مقاصد معينة))[٣] .

وإذا كانت البنى الصغرى متعلقة بمستوى الجمل أو المتواليات الجملية ، فان البنى الكبرى لا تتحدد بذلك ، بل بالنظر إلى النص بوصفه وحدة كلية ((إذ إنها تتجاوز تحديد أبنية النص النحوية والدلالية إلى تحديد الترتيب الكلي لأجزاء النص ، إلى النظام العام الذي يحكم حركة النص))[٤] .

وهذا الأمر الجوهري والعناصر المركزية في النص تسمى البنى الكبرى وهي : ((التركيب المقدر الذي يفسر أو يحلل تنظيم النص أو الخطاب))[٥] ، وعليه يعتمد

---

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي : ٤٨ .

(٢) الصواب ومن ثم .

(٣) اتجاهات لغوية معاصرة (بحث) : ١٨٩ .

(٤) علم لغة النص : ١٨٤ ، وينظر : علم اللغة والدراسات الأدبية : ١٩٨ .

(٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٥٩/١ .

تفكيك النص إلى الوحدات المكونة له على الإدراك السليم لبنيته العليا، مما يعد شرطا ضروريا لتحليل علاقاته وضبط دلالاته .

ومفهوم البنية الكبرى هو مفهوم نسبي ، فالقضية ليست . بحد نفسها . قضية كبيرة ، إنما هي كبيرة بالنسبة إلى القضايا الصغيرة التي تشتق منها البنى الكبرى ، ومعنى هذا ((أن القضية ذاتها (كذا)[١] يمكن أن تكون قضية كبيرة في نص ما ، وقضية صغيرة في نص آخر))[٢] .

ويحدد (فان دايك) ضوابط البنى الكبرى في أربع قواعد هي :

١ . الحذف ، ٢ . الاختيار ، ٣ . التعميم ، ٤ . التركيب (الإدماج)[٣]

ويقصد بالقاعدة الأولى (الحذف) أن كل معلومة غير مهمة ، غير أساسية يمكن أن تحذف ، وهذا لا يعني أن هذه المعلومة ليست مهمة . في حد نفسها . ولكنها تعد إلى حد بعيد ثانوية بالنسبة للمعنى أو التفسير الأعلى أو الأهم .

أما القاعدة الثانية (قاعدة الاختيار) ، فهي تتعلق بحذف كم محدود من معلومات نص ما ، ولا يعني ذلك تكرير القاعدة السابقة ، وإنما يختص الحذف هنا باختيار ما يتصل اتصالا وثيقا بالقضية الجوهرية في نص ما وحذف ما سواه[٤] .

وينبغي أن نشير إلى أن بعض القضايا قيود أو أجزاء أو توابع لقضية أساسية لا يمكن أن تحذف ، وتمكننا كفايتنا المعرفية من إدراك القضية الجوهرية . التي لها أهمية دلالية . للنص كله ، ومن ثم لا يجوز أن تحذف المعلومة التي تتضمنها هذه القضية ((ويلزم هنا مراعاة وضوح العلاقة بين الجزء المحذوف والجزء

---

(١) الصواب نفسها .

(٢) النص وظائفه وشروطه (بحث) : ٦٥ .

(٣) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ٤٨ ، واتجاهات لغوية معاصرة : ١٩١ ، ويلاحظ أن صلاح فضل ذكر قاعدة القلب بدلا من التعميم ، ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٠٧ .

(٤) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٩٠ . ١٩١ .

الأساس القائم ، وأن أساس الحذف هو إدراك جوانب النص وتحديد قيمة المعلومة))[١] .

أما القاعدة الثالثة (قاعدة التعميم) ، فتعني إمكانية أن تحل قضية شاملة محل قضايا متعددة ،أي حلول تصور علوي مشترك محل عدد من التصورات الجزئية، ويطلق على التعميم . أحيانا . مصطلح التجريد .

وتعني قاعدة (التركيب أو الإدماج) حلول معلومة قائمة بنفسها من طريق جمع دلالات النص نفسه ، ويلاحظ . هنا . ضرورة وجود ترابط معين بين التصورات المكونة للبنية الكبرى ، ويستنتج التصور الكلي . الشمولي . من عدد من التصورات القائمة في سلسلة القضايا الواردة ، أي يستخلص من عناصر النص نفسه ، ويشترط حينئذ ألا يفقد النص مضمونه الأصلي أو المعنى الحقيقي الفعلي ، أي ما يسمى ثيمة النص[٢] (موضوعه) .

وإذا كانت البنى الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية كما أوضحنا ، وكانت متعلقة بمدى التماسك الكلي للنص ومشروطة به ، فإن الذي يحدد إطارها هو المتلقي ، لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص[٣] .

وينـاط بالمفسر الذي يمتلك كفاية الفهم والتفسير ، تحديد البنى الكبرى ، ونلاحظ أنها تختلف باختلاف كفاية المتلقي ، ولكن يشترط باحثو النصية ((قدرا كبيرا من التوافق بين مستخدمي (كذا)[٤] اللغة ، فعلى الرغم من اختلاف القراء في اختيارهم عناصر مهمة في النص لتحديد البنى الكبرى للنص تبعا لمعارفهم وآرائهم ، مما يجعل البنية الكبرى تتغير من شخص إلى آخر ، إنه على مستوى التفسير

(١) ينظر : النص وظائفه وشروطه (بحث) : ٦٢ .
(٢) ينظر اتجاهات لغوية معاصرة : ١٩٣ .
(٣) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦ .
(٤) الصواب : مستعملي .

الإجمالي لأحد النصوص لابد من وجود توافق كبير بين مستخدمي (كذا)[١] اللغة))[٢] .

وأشار . بعض الباحثين . إلى أن لكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب ، وإن القارئ يصل إلى هذه البنية الكبرى من طريق عمليات متنوعة ، تشترك جميعها في سمة (الاختزال) ، على أن البنية الكلية ليست شيئا يعطى ، وإنما هي مفهوم مجرد عند التلقي تتجلى به كلية الخطاب ووحدته[٣] .

وينبغي أن ننوه بأن لكل خطاب . نص . بنية كلية وهذا يعني أن مفهوم البنى الكلية ، والعمليات الأربع السالفة الذكر ينبغي أن ينظر إليها نظرة نسبية ، مستأنسين بقول باحث معاصر : ((إن اطراد تطبيق هذه القواعد من المؤولين متفاوت ، كما أن انتقاء المعلومات التي تعد هامة (كذا)[٤] يتوقف على المعارف الموسوعية لكل شخص أكثر مما يتوقف على المقام))[٥] ، ويمكن تتبع البنى الكبرى التي يرتئيها المفسر للنص القرآني على النحو الآتي :

سورة النحل

يقول المفسر : ((إنها من السور المكية . المدنية التي تتحرك آياتها لتأكيد العقيدة في موضوعاتها الكبرى ، وهي التوحيد ، والوحي ، والبعث ، وتؤكد السورة التوحيد من خلال عالم الكون الواسع ، وما يتمثل فيه من أسرار عظمة الله في خلقه ، ومن آفاق رحمته في نعمه ، بالإضافة إلى (كذا)[٦] المقارنة مع كل من يتخذهم الناس شركاء لله في العبادة ، وتجريدهم من كل صفات القدرة ، وإرجاعهم إلى

---

(١) الصواب : مستعملي .

(٢) علم لغة النص : ١١٦ .

(٣) ينظر : لسانيات النص : ٢٨٥ ، وعلم لغة النص : ٢٠٦ .

(٤) الصواب : مهمة .

(٥) لسانيات النص : ٢٨٥ .

(٦) الصواب : زيادة على .

حجمهم الطبيعي وهو أنهم مخلوقون لله ، خاضعون في وجودهم لقدرته على كل شيء .

أما في مسالة الوحي ، فتنطلق الآيات لتدخل في بعض تفاصيله،ثم تواجه كلمات التشكيك اللامسؤولة الصادرة عن المشركين والكافرين،التي تشكك به وتنسب إلى بعض البشر الذين يزعمون أنهم كانوا يعلمون النبي ويلقون إليه هذه الآيات .

أما شأن البعث ، فتنطلق الآيات للحديث عن يوم القيامة كحقيقة وكواقع لمواجهة المسؤولية أمام الله وللخضوع لنتائجها الإيجابية .

ونلتقي ذلك كله بالأخلاقيات الإسلامية التي تؤكد الصبر وسعة الصدر ، والدفع بالتي هي أحسن وغير ذلك من القيم الروحية الإسلامية التي تثير في الإنسان كل نوازع الخير ، وتوجهه إلى مواقع الحق والعدل والإيمان))[١] .

ترتبط البنية الكبرى بالقضايا المعبر عنها بجمل النص بوساطة ما نسميه (الضوابط الكبرى) ، وتحدد ما هو أكثر جوهرية ، وتختزل في النتيجة معلومات النص إلى الجوهري منها[٢] ، لأن ((متلقي الرسالة اللغوية محمول على أنه مدرك للنظام (كذا)[٣] العلامي الذي يفكك الرسالة فيفهم مضمونها))[٤] ، ونجد أن البنى الكبرى للنص . عند المفسر . تتمحور في بنى كبرى ثلاث تمثل العقيدة في موضوعاتها ، وهي كما عرضها :

الأولى : قضية التوحيد ، وما يصاحبها من عظمة الله وسعة رحمته .

الثانية : قضية الوحي ، وكونها مسألة إلهية خالصة .

الثالثة : قضية البعث ، وتأكيد أن المسؤولية الحقة تظهر في يوم القيامة .

وعمد المفسر في استظهار البنى الكبرى إلى ما يملكه من قبليات معرفية ، فالسورة مكية . مدنية تتحرك آياتها في اتجاه تأكيد العقيدة الإسلامية ، فقارئ النص .

---

(١) التفسير : ١٣/١٨٥ . ١٨٦ .

(٢) ينظر : العلاماتية وعلم النص : ١٦٠ .

(٣) الصواب : النظام .

(٤) مباحث تأسيسية في اللسانيات : ١٦٥ .

المتلقي . لا يعتمد على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها النص حسب ، بل يقتضي إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي ، داخل ما يسمى بكفاية النص أو إنجازه[١] .

وبالقراءة المتفحصة لما أورده نجد أنه عمد إلى (التعميم) ، أي حلول تصور علوي مشترك محل عدد من التصورات الجزئية لبيان بنى النص الكبرى .

سورة طه

يقول المفسر : ((تنطلق السورة لتثير أمام القلب البشري التصور الإسلامي القرآني عن الله ، ليبقى الإنسان من خلال التصور الشامل العميق ، واعيا لمسؤوليته في إحساسه بالحضور الإلهي الذي ((لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى))[٢] .

ثم تنفتح الرسالة في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فنلتقي بالنبي موسى (ع) في دعوته إلى الله ، ومعاناته في سبيل ذلك ، وفي حركته القوية التي تصدم الواقع الطاغي ، بالكلمة والأسلوب والموقف ... وهكذا تتنوع الصور . والمواقف . وتطل من خلالها على قومه وكيف واجهوه من موقع التخلف الفكري ، ليزيد ذلك من التذكير بخشية الله والانفتاح على تعاليمه وآياته .

ثم تأتي قصة آدم (عليه السلام) التي تتكرر في القرآن ، لتربط الناس بالخط الفاصل بين طاعة الله وطاعة الشيطان ..وتنتهي الآية بالتحدي الكبير الذي يريده الله لرسوله أن يطلقه في وجه هؤلاء المتربصين بالرسول وبالرسالة فيمن يريدون الشر به وبها ، فيخاطبهم بكل قوة ((قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى))[٣])[١] .

---

(١) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦٠ .

(٢) طه : ٦ ، ٧ .

(٣) طه : ١٣٥ .

يشير دارسو النص . باستمرار . إلى أن البنية الكبرى هي بنية كبرى نسبية ((فالقضية لن تكون أبدا قضية كبرى في حد ذاتها ، ولكنها ستكون كذلك إزاء القضية (الصغرى) التي اشتقت منها بوساطة الضوابط الكبرى))[٢]. ونجد المفسر في تفسيره السورة عمد إلى بيان قضايا كبرى متعددة للوصول إلى البنية العليا للنص ، والبنى التي عرضها هي :

أولا . إثارة السورة للتصور القرآني عن الله أمام القلب البشري .

ثانيا . انفتاح الرسالة على شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثالثا . ذكر قصة آدم (عليه السلام) والقصة في القرآن الكريم ((ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه ، وطريقة عرضه ، وسبر حوادثه كما هي الحال في القصص الفني ، إنما القصة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها (كذا)[٣] لغرضه الأصيل))[٤]

رابعا . التحدي الكبير الذي يريده الله للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطلقه في وجه المتربصين بالرسالة .

وهذه البنى الكبرى التي عرضها تنصب في بوتقة واحدة للوصول إلى البنية العليا للنص ، وهذه البنية هي إثارة ((السورة في آياتها العمق الإنساني للنفس البشرية لمواجهة مسألة المصير الأخروي من مواقع الاهتمام والجدية ، ومسألة الواقع الدنيوي من موقع المسؤولية))[٥] ، كما عبر عنه المفسر .

ويلاحظ أنه استند إلى قواعد البنى النصية لبيان بنى النص الكبرى وهي الآيات (١ . ٨) وتمثل قاعدة الاختيار ، ومن الآيات (٩ . ٩٧) وتمثل قاعدة تعميم ،

---

(١) التفسير : ٨٧/١٥ ، ٨٨ .

(٢) العلاماتية وعلم النص : ١٦١ .

(٣) الصواب : استعملها .

(٤) التعبير الفني في القرآن : ٢٢٥ .

(٥) التفسير : ٨٧/١٥ .

والآيات (١٢٩ . ١٣٥) قاعدة اختيار ، واستند إلى قاعدة الإدماج لبيان البنى العليا للنص .

سورة الأحقاف

يقول المفسر في بيان البنى الكبرى للسورة : ((هذه السورة من السور المكية التي تتناول أصول العقيدة الثابتة ، ومنها التوحيد ، الذي يعيش فيه الوجود كله حضور الله في تدبيره الشامل للكون وما فيه ، ومنها الإيمان بالوحي الذي أنزله الله على رسوله بما يشتمل عليه من رسالة تخرج الناس من الظلمات إلى النور ، والإيمان بالبعث الذي يلتقي عنده الناس ليواجهوا الحساب هناك ، مع إطلالة متحركة على آفاق السماوات والأرض ومشاهد القيامة ، وعلى حركة التاريخ في مصارع قوم هود ، ومصارع القرى من حول مكة .

ويتحرك المضمون القرآني ليناقش مسالة الشركاء الذين لم يخلقوا شيئا ولا يملكون أي شيء ، مما لا يجعل لديهم أساسا للربوبية ، كما يجعل الذين يعتقدون فيهم ذلك قوما متخلفين ، لا ينطلقون في عقيدتهم من كتاب ، أو علم ، بل ينطلقون من الأوهام والخيالات الباطلة .

ويقف عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتحدث عن أثره وطاقته في نطاق هذا الأثر ، وتتوزع السورة بعد ذلك بين كتاب موسى (عليه السلام) وعن تأثير الإيمان في السلوك الإنساني .

وتنتهي السورة بالحديث عن موقف الكافرين والمستكبرين والفاسقين يوم القيامة ، حيث يعرضون على النار ، التي هي مصير أمثال هؤلاء))[١] .

يمثل التفسير قراءة خاصة للنص القرآني في زمن معين ، وكل قراءة . كما هو معلوم في اللسانيات العامة . هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها ، فكما أن الرسالة اللسانية عند بثها قد تصادف أكثر من متقبل واحد فيفككها كل بحسب أنماط جداوله ، فكذلك تتعدد القراءة زمانيا بتعاقب المتقبلين للرسالة والمفككين لبنائها من طريق

(١) التفسير : ٢١/٧ . ٨ .

محور الزمن والتاريخ[١] ، وقد تنوعت التفاسير التي كتبها العلماء بين التفسير اللغوي والفقهي والصرفي ، وغيرها من التفاسير ، ونجد أن السيد فضل الله أولى عناية خاصة بالبنى الكبرى المستقاة من النص . السورة القرآنية . في تفسيره ، وإذا أنعمنا النظر في ما أورده حول السورة وجدناه يحدد أربع بنى نصية كبرى للسورة ، وهي على النحو الآتي :

الأولى : تناول أصول العقيدة ، والكلام على الإيمان والبعث .

الثانية : مناقشة قضية الشركاء وبيان عجزهم .

الثالثة : بيان شأن النبي (ص) الرسالي ، وطاقته في نطاق هذا الأمر .

الرابعة : وصف موقف الكافرين والفاسقين يوم القيامة .

وإذا كانت بنية النص الكبرى ذات وحدة دلالية ، وكانت متعلقة بمدى التماسك الكلي للنص ومشروطة به ، فإن الذي يحدد إطارها نتيجة لذلك هو المتلقي[٢] ، لذا نجد أن المفسر استند إلى هذا المعطى النصي لبيان البنى الكبرى للسورة الكريمة كما يراها ، وتتنوع التراكيب والأساليب اللغوية لجمل البنى الكبرى الواحدة من الأخرى ، فـ((كل مستوى من مستويات الخطاب يتجلى في بنية لغوية خاصة ، داخل إطار النظام اللغوي العام للنص))[٣] .

وتتمثل قاعدة الاختيار من الآية (١) إلى الآية (١٠) ، ويتمثل التعميم في الآيات من (٢٨) إلى الآية (٣٢) . ويتمثل الحذف بالآيات من (١٤) إلى (١٨) ، ومن الآيات (٢١) إلى (٢٩) .

سورة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

يقول المفسر : ((هذه السورة سورة مدنية ، تتحرك آياتها في خط المقايسة بين صفات المؤمنين والكافرين ، وتتحدث عن ضلال الكافرين الذين وقفوا حاجزا بين

(١) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٣ .

(٢) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦٠ .

(٣) النص . السلطة . الحقيقة : ١٠٦ .

الناس وسبيل الله ، والتزموا الباطل في فكرهم وحركتهم ، أما المؤمنون فقد ساروا في خط الهدى ، وعملوا الصالحات ، فآمنوا بالقرآن .

ثم تطوف السورة في تفاصيل المواقع والمواقف والأشخاص ، فقد خاطبت المؤمنين لتدفعهم إلى الجهاد بوصفه تعبيرا حيا عن نصر المؤمن لربه ، ولتطمئنهم إلى أن الله ينصرهم في اتجاههم هذا ، ويثبت أقدامهم .

ثم تنطلق السورة مع المنافقين الذين كانوا يمثلون خطرا على الإسلام والمسلمين ... وتتناول السورة تنوع أساليب المنافقين في مواجهة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحدد ملامحهم عند نزول التشريع الجهادي .

وتختتم السورة بنداء للمؤمنين ، تطلب منهم فيه الطاعة والصبر والبذل في سبيل الله ، وتدعوهم إلى فهم الحياة جيدا ، والى معرفتها بأنها لعب ولهو ، وأن عليهم الاستمرار في هذا الخط الرسالي الجهادي الداعي المتحرك في كل الساحات))[1] .

يرتبط إنتاج النص بزمن محدد،أما تلقيه أو التأثير الذي يحدثه فلا يرتبط بزمن معين، بل تحدث تلك العملية في أزمنة متعددة،وتظل تنتج تفسيرات بتعدد القراءات،وينغلق النص إذا عجز القارئ عن النفاذ إلى داخله وظل عند السطح[2].

ويمكن ملاحظة حيوية التلقي عند المفسر بإبرازه بنية عليا للنص ، وهي ما عبر عنها بالقول : ((وفي ضوء ذلك ، نفهم أن هذه السورة تمثل الحركية الإسلامية في خط الدعوة والجهاد ، وتفتح للمؤمنين نوافذ الوعي للمستقبل ، وللمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان المجاهد أو الداعية ، ليعرف كيف يحرك الرسالة في خط الواقع))[3] .

---

(١) التفسير : ٢١/٤٥ . ٤٦ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١٤٤ .

(٣) التفسير : ٢١/٤٦ .

وإذا كان ((على التحليل النصي أن يتوصل إلى الوحدات الأكبر انطلاقا من الوحدات الكبرى))[١] وجدنا أن المفسر عرض ثلاث بنى كبرى للنص أدت إلى البنية العليا للسورة الكريمة والبنى هي :

الأولى : الموازنة بين صفات المؤمنين والكافرين ، من طريق عرض السورة لتفاصيل الواقع ، والمواقف ، والأشخاص .

الثانية : عرض السورة للمنافقين ، وبيان خطرهم على الإسلام وأساليبهم عند ابتداء الرسالة .

الثالثة : بيان أن الدنيا لعب ولهو ، مما يتطلب من المؤمنين الصبر والطاعة والبذل في سبيل الله .

وهذه البنى ـ بحسب رأيه ـ جزء من بنية عليا للنص ، كما ذكر من قبل، وعمد إلى (الإدماج) لبيان هذه البنية العليا،ويتضح من هذا أن ((دور (كذا)[٢] المتلقي يقع في الاتجاه العكسي لما يتم به عند المتكلم ، فالمتكلم يحول المعنى إلى مبنى ، والمتلقي يحول المبنى إلى معنى ...فالمعنى هو المهم وهو الغاية من عملية الاتصال))[٣] .

والقواعد التي اعتمد عليها المفسر لبيان بنى السورة الكبرى هي :

الآيات من (١) إلى (١١) اختيار .

الآيات من (١٢) إلى (١٤) حذف .

الآيات من (١٤) إلى آخر السورة تعميم .

سورة التحريم

يقول المفسر : ((هذه سورة مدنية تتنوع أغراضها وموضوعاتها ، ففي الجزء الأول منها حديث مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض خصوصياته اليومية،في ما كان يجهد به نفسه من الرفق بمن حوله،لاسيما أزواجه ، بالامتناع

(١) اتجاهات البحث اللساني : ٣٨٠

(٢) الصواب : أثر ، أو شأن .

(٣) نظام الارتباط والربط في تركيبة الجملة العربية : ١٩ .

عن بعض ما أباح الله له مما كان يحب أن يفعله ، فقد أراد الله منه أن يأخذ حريته في ذلك ، حتى لو كان قد حرمه على نفسه بيمين أو بغير يمين .

ثم تلامس السورة في الجزء الثاني بعض الأمور التي تحدث في البيت الزوجي ، من قبل بعض أزواجه اللاتي أفشين سره الذي أراد منهن حفظه ، ثم تثير الموضوع بلهجة قاسية توحي بأن صبره على الإساءة إليه لا يعني ضعفا فيه، لأن الله وملائكته وصالح المؤمنين يساندونه في كل شيء ، وتهددهن بالطلاق ، وباستبدالهن بخير منهن (كذا)[١] .

ثم يأتي الجزء الثالث ليوجه المؤمنين إلى حماية أنفسهم واهليهم من النار ، والى التوبة النصوح إلى الله من ذنوبهم ، ليحصلوا على الجنة يوم القيامة .

ثم تدعو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جهاد الكفار والمنافقين ، وتضرب المثل للكافرين والمؤمنين ببعض النساء الكافرات والمؤمنات ، من اجل اخذ العبرة من ذلك))[٢] .

ميز بعض الباحثين الخلفية النصية المنغلقة لدى المتلقي التي تقوم على أساس تقديس البنية النصية الكبرى ، وبوساطتها تقرأ النص وتتلقاه ، من الخلفية النصية المنفتحة ، وهي بنية متجردة لأنها ترفض الثبات والمطلق لدلالة النص وهي تتلقاه ، ولا تسعى للحكم عليه على وفق الجاهز عندها ، من خلفيتها النصية، وإلا أصبحت منغلقة[٣] ، ويمكن تلمس هذه الخلفية لدى المفسر عند إيراده للبنى الكبرى التي تضمنتها السورة على النحو الآتي :

الأولى : الحديث عن الخصوصيات اليومية عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي تظهر الجانب البشري عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يصورها القرآن الكريم ، لا من طريق مصادر أخرى ، وفي هذا الصدد يقول : ((إننا نحاول هنا أن نسجل تحفظا على الكثير من الأحكام المسبقة التي تحاول تطويق

---

(١) الصواب : وباستبدال خير منهن بهن

(٢) التفسير : ٣٠٥/٢٢ . ٣٠٦ .

(٣) ينظر : انفتاح النص الروائي : ١٥٢ .

الـنص القرآنــي بـبعض الاسـتبعادات الذاتيـة ، فإننـا نلاحـظ أن تصـورنا لشخصـية الأنبياء يبدأ من القرآن ، فيما يحدثنا عنهم من أحاديث ويسبغه عليهم من صفات ، فهذا المصدر الأساسي الأمين الذي لا يأتيه الباطل))[١] .

الثانية : الدعوة إلى المؤمنين بالتوبة النصوح .

الثالثة : دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جهاد الكفار والمنافقين .

وإذا كانت الدراسات اللغوية لابد لها أن تتغيا في النهاية هدفا واحدا هو فهم النص ، والكشف عنه وبيان معناه[٢] ، فإن دارسي علم النص يلحون . بالرغم من اختلافاتهم العميقة . على أن النص عملية إنتاج ، بمعنى انه ليس وصفا أو سردا لحقائق اللغة حسب ، بل تترك مساحة كبيرة من الحرية للمفسرين كي يقوموا من طريق تفكيك البنى اللغوية والدلالية ، وتمثل بنى دلالية كبرى تجمع بينها ، من طريق عملية اختيار قائمة على خبرة المفسر وثقافته وتوجهه[٣] ، وهذا ما يمكن ملاحظته . بشكل جلي . من كلامه عن شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في السورة الكريمة ، ونجد أن المفسر استند إلى التعميم في بيان بنى النص الكبرى .

سورة الحاقة

يقول المفسر : إن السورة ((تتحرك في فصول ثلاثة :

فالفصل الأول يثير موضوع الأمم السالفة الذين كفروا بالله فأخذهم بذنوبهم.

والفصل الثاني حول القيامة وانقسام الناس فيه إلى أهل اليمين وأهل الشمال، في مصيرهم المختلف من الجنة والنار .

وفي الفصل الثالث حديث عن القرآن ، وكيف تحدث القرآن عنه ، وكيف هو في حقيقته النازلة من الله التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، حتى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وهو صاحب الرسالة . لا يجروء على أن يزيد

---

(١) التفسير : ١٠/١٦٦ ، وينظر : مطارحات في قضايا قرآنية : ٢٢ .

(٢) ينظر : علم اللغة بين التراث والمعاصرة : ١٩٥ .

(٣) ينظر : مدخل إلى علم اللغة النصي : ١٥٣ .

فيه كلمة واحدة ، لأن الله سوف يأخذ بيده ،فالله يريده تذكرة للمتقين، لينطلق إيمانهم من خلال الصفاء الذي يمثله حق اليقين .

أما عنوان السورة فقد كان يتناول المسألة الأساس في بدايتها))[١] .

يظهر أثر المفسر في إنتاج الدلالة في فهمه لبنية النص الدلالية ، من طريق فرز دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص وعباراته[٢] ، وهذا ما لهج به السيد فضل الله كثيرا في تفسيره[٣] .

ويرى المفسر أن البنية العليا الكلية للسورة هي ((إيقاظ العقل البشري والروح الإنسانية وتوجيهها إلى الأساس العقيدي الذي يرتكز عليه الإسلام وهو الإيمان بالله واليوم الآخر))[٤] ، وهذه البنية العليا اشتملت على بنى كبرى متعددة في داخلها وهي :

الأولى : الحديث عن الأمم السالفة .

الثانية : الحديث عن يوم القيامة وبيان انقسام الناس فيه إلى أهل يمين وأهل شمال .

الثالثة : الحديث عن القرآن الكريم فهو كتاب الله المنزل ، مهما تقول المشركون عليه ، وعدم زيادة حرف واحد فيه حتى من لدن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ويلاحظ من كلامه ظهور سمة مهمة من سمات البنى الكبرى ... وهي ما أطلق عليه . فان دايك . نسبية مفهوم البنى الكبرى ، ونعني به إمكانية دخول بنية كبرى في بنية نصية أكبر منها ، إذ يمكن أن يقدم كل مستوى أعلى (أعم) للقضايا في مقابل مستوى أدنى ، ويطلق على تلك البنية الكبرى (الأعم) في النص الكلي

---

(١) التفسير : ٦٥/٢٣ .

(٢) ينظر : السيمياء والتأويل : ٩٢ .

(٣) ينظر : التفسير : ٢٣/٢ ، ٧٩/٥ ، ١٢١/٨ ، وغيرها .

(٤) المصدر نفسه : ٢٣ / ٦٥ .

(البنية الكبرى للنص)[١] ، وتحدد البنى النصية بناها الكبرى الخاصة بها ، نتيجة لذلك ؛ يتشكل بناء دلالي متدرج للبنى الكبرى على مستويات مختلفة ، وهذا ما يمكن ملاحظته عند إيراد فضل الله لبنى السور كما يراها .

ونجده قد عمد إلى الحذف في الآيات من (١) إلى (٣) ، وفي الآيات (٤) إلى (١٠) تعميم ، والآيات من (٤٠) إلى (٥٠) تعميم ، وعمد إلى الإدماج لبيان البنية العليا للنص كما أوضحنا ذلك .

سورة عبس

يقول المفسر : إن ((الحديث في بداية السورة عن حادثة ، قد يكون النبي (ص) هو المخاطب بها لعلاقتها به ، وقد يكون غيره ، تتصدى لمسالة الانفتاح على بعض المترفين من كفار قريش،والانغلاق عن بعض المستضعفين من مؤمني الإسلام،فكان التوجيه الإلهي يؤكد سلبية هذا الأداء،بميزان القيمة الرسالية .

ثم انتقلت السورة إلى إثارة مسالة خلق الإنسان والمراحل الرئيسة التي يمر بها وصولا إلى طور البعث والنشور ، وكل ذلك في مسعى لجذب انتباه تفكير الإنسان ، وتنشيط وعيه ... ليفكر الإنسان بالنعمة كيف تتحرك لتحفظ له وجوده ، ولتبين له حيويته .

وتختتم السورة الحديث عن المسؤولية الفردية في مسألة المصير ، فلن ينفعه أحد في يوم القيامة ، الذي يواجه فيه مسؤوليته ، بحيث يفر هناك من اقرب الناس إليه ، لينطلق الناس في هذا الجو بين وجوه ضاحكة مستبشرة ، وهي وجوه المؤمنين المتقين ، ووجوه عليها غبرة ، وهي وجوه الكفرة والفجرة..))[٢] .

يرى بعض الباحثين أن نشاط المتلقي يبدأ من لحظة خلق الروابط والعلاقات والتداخلات بين الجمل[٣] ، لذا عمد المفسر إلى بيان البنى الكبرى للنص (السورة الكريمة) المستقاة من طريق العلاقات بين البنى الصغرى . الجمل . داخل السورة

---

(١) ينظر : اتجاهات لغوية معاصرة : ١٥٦ .

(٢) التفسير : ٥٥/٢٤ .

(٣) ينظر : مناهج النقد المعاصر : ١٤٩ .

نفسها ، ونلاحظ من كلام المفسر رؤيته لبنية تجريدية عليا عبر عنها بقوله : ((هذه السورة من السور المكية التي تتنوع أغراضها ، ولكنها تلتقي حول قاعدة واحدة هي انفتاح القلب الإنساني على الله في سلوكه العملي من حيث تحريك القيم الروحية والمعاني الأخلاقية في حياته))[١] ، واستند إلى (الإدماج) أو (التركيب) لبيان هذه البنية العليا التي تأتت من طريق بنى كبرى ثلاث ذكرها وهي :

الأولى : بيان التوجيه الإلهي لسلبية أداء معين من حادثة معينة من طريق القيم الرسالية الكبرى ، وهي بنية كبرى عند المفسر .

الثانية : أثارت السورة مراحل خلق الإنسان في مسعى لتذكيره بالنعمة التي أنعم الله بها عليه .

الثالث : التأكيد الذي توليه السورة الكريمة للمسؤولية الفردية للإنسان في مواجهة أعماله ، وهي البنية الكبرى الثالثة .

ويمكن القول : إنه لأجل التفسير السليم لعلاقة العبارات في المتتاليات النصية، نحتاج إلى عدد كبير من الجمل الأكثر عموما ، وهي فروض دلالية تعتمد على اللغة ، وعلى المعارف العامة ، أو الإطار الذي ينتج النص فيه ، لابد أن تتوفر لدى السامع أو المتلقي[٢] ، وكما قلنا إن البنية الكلية هي تمثيل دلالي ما يحتاج إلى قدرة على اختيار دقيق من امكانات متعددة ، لتحديد المعلومات التي تتجلى فيها البنى الكلية .

سورة البروج

يقول المفسر : ((الموضوع المثير هو الحديث عن هؤلاء المؤمنين الذين عاشوا في مرحلة زمنية متقدمة على الإسلام ، وقد تحدثت السورة عن هؤلاء لتطرح الأنموذج الأعلى المميز للموقف الصعب الذي يقفه المؤمنون المخلصون في السمو الروحي الذي يرفض فيه المؤمن كل الضغوط التي تضغط عليه للابتعاد عن عقيدته .

---

(١) التفسير : ٢٤/٥٥ .

(٢) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦١ .

ثم تثير الحديث عن هؤلاء الذين فتنوا المؤمنين الذين آمنوا بالنبي (ص) في مكة ، بواسطة (كذا)[١] الضغوط النفسية والجسدية والاقتصادية ، ليبعدوهم عن خط الإيمان ...ويتوعد الله أولئك بعذاب الحريق في الآخرة ، أما المؤمنون الذين ثبتوا على الإيمان فلهم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار التي جعلها الله تعالى للفائزين ممن عملوا بطاعته ومرضاته وهجروا عصيانه ومقامات غضبه .

ثم تلوح بالبطش الإلهي الجديد الذي يوحي بقدرة الله الذي يبدئ ويعيد في تصرفه بالخلق وبالبعث ، وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، فإذا أراد شيئا فعله ، فإرادته تساوي فعله .

وتأتي الإشارة إلى الطغاة السابقين الذين فتنوا المؤمنين وآذوا الرسل ، فأخذهم الله بعذابهم وأحاط بهم من حيث لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم ويأتي الختام لتقرير طبيعة القرآن الذي يمثل الحقيقة المحفوظة في اللوح المحفوظ ، فهو المرجع في كل فكر ، وفي كل شريعة وفي كل مفهوم للكون وللحياة))[٢] .

يشير كثير من الباحثين إلى أن عملية القراءة (التفسير) أداء للنص وإنتاج لدلالته في الحدث الذي يصل ما بين دلالة التتبع والضم والإبلاغ ، ودلالة الاكتشاف والتعرف والفهم التأويلي ، ذلك يعني أن القراءة تظل ((عملية تلفظ للنص الذي ينطق عبر قارئه))[٣] .

وإذا تتبعنا المفسر في ما فهمه من النص وجدنا أن البنى الكبرى عنده هي خمس :

الأولى : الحديث عن المؤمنين الذين عاشوا في حقبة ما قبل الإسلام .

الثانية : الحديث عن الكفار الذين فتنوا المؤمنين في مكة .

الثالثة : بيان قدرة البارئ . عز وجل . وانه إذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون .

---

(١) الصواب : بوساطته .

(٢) التفسير : ١٦٣/٢٤ .

(٣) قراءة التراث النقدي : ٨٢ .

الرابع : الإشارة إلى الطغاة السابقين .

الخامس : الحديث عن القرآن الكريم .

ويظهر شأنه هنا عبر سياق النص الإدراكي ، وهو مصطلح (فان دايك) والمقصود منه حتى يتمكن المتلقي من فهم نص معين ، في موقف اتصالي معين ، عليه أن يتتبع مراحل محددة ، فعليه أن يفهم أولا الكلمات والجمل ومتتاليات الجمل ، ومن ثم البنية الكبرى الجامعة لمعنى النص[١]، وعلى العموم يمكن القول: إن سياق التفسير يؤول إلى تحليل المعلومات المنقولة بوساطة البنية السطحية وتحويلها إلى مضمون ، أي معلومات مفهومية ، وهذا ما لاحظناه عند السيد فضل الله حين عمد في بداية السور إلى بيان المعاني المعجمية للكلمات ، ومن ثم بيان العلاقات بين المتتاليات الجملية،وصولا إلى بيان البنى الكبرى للنص كما يراها[٢]

واعتمد المفسر من الآيات (١ . ٦) التعميم ، والآيتين (٧ . ٨) حذف ، والآيات من (١٢ . ١٦) تعميم ، والآيات من (١٧ . ٢٠) تعميم .

ويمكن تلمس البنى النصية الكبرى في التفسير على النحو الآتي :

٣٢/١ ، ٣٣ ، ٩٧ ، ٩٨ .

١٩٩/٥ . ٢٠١ .

١٧/٧ . ١٨ .

٨/٨ . ٩ .

٧/١٠ ، ٣٢١ . ٣٢٣ .

١٠/١١ . ١٢ ، ٢٦٠ .

١٥٩/١٢ . ١٦٠ .

٧/١٣ . ٩ ، ٧٥ . ٧٦ ، ١٣٧ . ١٣٨ ، ١٨٥ . ١٨٦ .

١٤/١٤ . ١٦ ، ٢٦١ . ٢٦٢ .

٨/١٥ ، ٨٧ . ٨٨ ، ١٨٣ . ١٨٤ .

---

(١) ينظر : علم لغة النص : ١٤٨ .

(٢) ينظر : التفسير : ١٦١/٢٤ .

٧/١٦ . ٨ ، ٢١٤ . ٢١٥ .

١٧٣/١٨ . ١٧٤ .

٧/١٩ ،٨ ، ١٢٥، ١٧٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٩٣ .

٧/٢٠ . ٨ ، ٨٣، ١٣٠، ١٣٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٧/٢١ .٨ ، ٤٥ . ٤٦ ، ٩٣ .٩٤ ، ١٣٣ . ١٣٤ ، ١٧١ . ١٧٢ ، ١٩٣ . ١٩٤ ، ٢٣١ ، ٢٥١ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ .

٩.٧/٢٢ ، ٥٨.٥٧ ، ٩٣ . ٩٦ ، ٢٤٩ . ٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ .

٧/٢٣ . ٨ ، ٣٥ . ٣٦ ، ٦٥ ، ٨٨ . ٨٩ ، ١٤٤ . ١٤٥ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٣٣ . ٢٣٤ ، ٢٥٨ . ٢٥٩ ، ٢٨٥ . ٢٨٦ .

٨.٧/٢٤ ، ٢٨.٢٧ ، ٥٦.٥٥ ، ٨٥ .٨٦ ، ١٠٣ . ١٠٤ ، ١٢١ . ١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٦٣ . ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٩٣ . ١٩٤ ،٢١٧ . ٢١٨ ، ٢٣٧ . ٢٣٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ . ٣٠٤ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ . ٣٥٨ ، ٣٦٧ ، ٣٨٣ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٥١ .

المبحث الثاني

العلاقات النصية

اللغة نظام ، أي مجموعة من الإشارات ، تأتي أهميتها من العلاقات المتبادلة بينها في داخل النص[١] ، ويمثل التركيب حتمية لغوية إذا صح التعبير ، إذ لا تستطيع لغة من اللغات أداء وظيفتها من غير الاعتماد على التركيب[٢] ، فهو من الوسائل التي تلجأ إليها اللغة لتحقيق قصدية النص وطرائق التعبير عنها في علاقات لغوية دلالية متنوعة ، فالمتلقي يتخذ من التراكيب طريقا للدلالة[٣] .

وتمثل العلاقات النصية محورا مهما من محاور البحث النصي ، حتى أن بعض الباحثين عد النص ((تركيبا من العلاقات))[٤] ، ويختلف مفهوم العلاقة النصية عن مفهوم الضم الذي توضع فيه الألفاظ بشكل عفوي اتفاقي لا يؤدي إلى فائدة دلالية ، وينظر إلى ((العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته أو بعضها دون (كذا)[٥] بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة))[٦]،ينظر إليها على أنها علاقات نصية . دلالية ، وهذه العلاقات كلية شمولية ، ولكن طريقة التعامل معها ووضعها في قوالب لغوية تختلف من لغة إلى أخرى[٧] .

---

(١) ينظر : الأسلوب والأسلوبية : ٦٢ ، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة : ١٩١ ، والمرجع والدلالة : ٣٠ ، والنص وظائفه وشروطه : ٧٠ .

(٢) ينظر : الظواهر اللغوية في التراث النحوي : ٢١٨ .

(٣) ينظر : التصور اللغوي عند الأصوليين : ٧٦ .

(٤) نصيات : ١١٩ .

(٥) الصواب : من غير .

(٦) لسانيات النص : ٢٦٨ .

(٧) ينظر : مدخل إلى علم النص : ٧٤ ، وعلم اللسانيات الحديثة : ٥٠٠ .

وعند التأمل في هذه العلاقات نجدها تتراوح بين الوضوح الصريح ، ودقة الاستخراج ، وإن تكون عرضة للاحتمال في بعض الحالات ، ويمكن من وجهة نظر علم النص أن يستعان بالترابط المفهومي من أجل الوصول إلى هذه الغاية[١].

ويمثل الاستدلال أثرا مهما في استنباط العلاقات الدلالية التي لم يصرح بها الخطاب[٢] ، ويشير دارسو النص إلى مبدأ مهم في هذا الشأن إذ ((ترتبط العبارتان فيما بينهما ، إذا كان مدلولهما ، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مترابطة فيما بينها))[٣] ، ويذهب باحث معاصر إلى ((استخراج النتيجة بواسطة (كذا)[٤] النظر في مجموع المساوقات ...وبذا يختلف تقدير للعلاقة عن تقدير آخر، وتكون العلاقة بين الجملتين عندئذ عرضة للاحتمال))[٥] .

وللعلاقات الدلالية في داخل النص الواحد أثر مهم في الكشف عن ثيمة النص ودلالته المتوخاة ، فالنظر في طبيعة العلاقات النصية يضع المعرفة اللغوية بقوانينها المطردة ، وغير المطردة ، أساسا في فهم أسرار النص القرآني ، ومعرفة دلالة العبارة القرآنية ، وعلاقتها بالنص القرآني في محيط الآية والسورة، ومن ثم النص القرآني جميعا نصا معجزا واحدا متماسكا .

وقد تشعبت العلاقات النصية في القرآن الكريم إلى علاقات متعددة وواسعة، يمكن رصدها عند المفسر بالعلاقات الآتية على سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٤٠٤/١ .

(٢) ينظر : حبك النص (بحث) : ٨٥ .

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٦١ .

(٤) الصواب بوساطة ، ويرى أستاذنا العزاوي حذف كلمة وساطة ، وإدخال الباء على الكلمة فتصبح بالنظر ، ينظر : التعبير الصحيح : ١٨٥ .

(٥) البيان في روائع القرآن : ٤٠٢/١ .

النقض والإبطال

قوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ))[1] .

يقول المفسر : ((الشعور أصله الإحساس بالشيء من جهة تدق وتخفى ... ولا يوصف به الله . بأنه يشعر . لما فيه من معنى التلطف والتخيل ، والمقصود بكلمة (يشعرون) يعلمون وذلك على نحو الاستعارة .. فقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ) أي إنه إذا نهوا عن الفساد البين ، فهم يحاولون فلسفته وإعطاءه الصفات التي تجعله من واجهات الإصلاح ، ويمنحون أنفسهم ، من طريق ذلك صفة المصلحين الذين يريدون أن يغيروا القيم التقليدية في العالم ... ويأتي القرآن لحسم الموقف على أساس كشف (كذا)[2] الواقع الفكري لهؤلاء وقيمته في حساب الإصلاح ، (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) فيما تفرزه أعمالهم وشعاراتهم من آثار سلبية في حياة الإفراد والمجتمعات و (وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ) ؛ لأنهم لا يعيشون الأجواء النظيفة التي ترتبط بالقيم ، ولذلك لا يشعرون بالنتائج السيئة المرتبطة بأعمالهم))[3]

يرى باحثو النصية أن العلاقة الدلالية ((ليست منغلقة على نفسها ، لكنها أيضا ذات دلالة بما تحيل إلى علامات دلالية أخرى))[4] ، وهذا ما استند إليه المفسر في بيان العلاقة النصية في الآيات الكريمات ، فمناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية التي ينجز فيها ، أي تجاوز الجملة إلى وحدة الخطاب تتسم بتحقيق غاية أعم هي تفسير العلاقات النسقية في النص والسياق التداولي الذي ورد فيه[5] ، وهذا ما يبدو بصورة واضحة . عند المفسر . في بيان حال المنافقين الذين

---

(١) البقرة : ١١ . ١٢ .

(٢) الصواب : الكشف عن .

(٣) التفسير : ١/١٤٥ .

(٤) مشكلة الدلالة (بحث) : ٤١ .

(٥) ينظر : لسانيات النص :٣٠ .

يدعون العمل الصالح وهم في الحقيقة يسيئون صنعا ، فجاء الرد القرآني لإبطال دعواهم بشكل واضح لا لبس فيه فالعلاقة هنا لدى المفسر هي علاقة نقض وإبطال .

السببية

قوله تعالى : ((وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ))[1] .

يقول المفسر : ((ولقد اصطفيناه في الدنيا ، نبيا ورسولا وإماما وداعيا إلى الحق ، واخترناه من بين الناس لذلك كله ، لتميزه منهم في عقله وروحه واستقامته وإخلاصه لله ... وهناك سؤال : هل كان الاصطفاء قد تم بعد أن أمره الله بان يسلم باعتبار أن كلمة (إذ) في موضع نصب باصطفينا ؟

قد يكون الأمر كذلك على أساس الجانب التعبيري ، ولكن ذلك ليس ضروريا ، فربما كانت المسألة منطلقة من الإشارة إلى السبب في هذا الاصطفاء من طريق إخلاصه لله في إسلامه المطلق له ، لأن الله . عز وجل . يختار لرسالته الإنسان الذي يعيش عمق الصفاء الروحي الذي يؤهله لاحتضان روح الرسالة بفكره وكل كيانه))[2] .

يظهر أثر المفسر في بيان أوجه الربط الدلالي بين متتاليات النص القرآني، ونجد أنه ذهب إلى أن العلاقة النصية في الآية الكريمة هي (العلاقة السببية) ، أي إن سبب الاصطفاء هو إخلاص إبراهيم (عليه السلام) من طريق معيار عام للاصطفاء يضعه الله لعباده كما أوضح السيد فضل الله ، أما مسألة تقدم الاصطفاء على الإسلام فأشار إلى أنها جانب تعبيري لا يغير من الدلالة شيئا حتى إن كانت إذ في موضع نصب كما ذهب العلماء ، فالمفسر استند إلى معطى نصي لبيان علاقات النص في داخل الآية ومن ثم بيان الدلالة الكلية لها مفاده ((لكي نفهم أجزاء أية وحدة لغوية لابد أن نتعامل مع هذه الأجزاء وعندنا حسن سابق بالمعنى الكلي))[3] ، وهذا المعنى الكلي معروف عند المفسر كون إبراهيم (عليه السلام)

---

(١) البقرة : ١٣٠ .

(٢) التفسير : ٣/٤٠ . ٤١ .

(٣) دليل الناقد الأدبي : ٤٨ .

يمثل قمة الإخلاص لله تعالى فـ((فهم النص لابد أن يخضع لقواعد تتحرك في داخل النص وخارجه على أساس أن لكل لغة قواعدها في وعي المعنى ، ولاسيما في المرحلة التي انطلق فيها النص لإفهام الناس فكرته))[١] .

الإجمال والتفصيل

قوله تعالى:((وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ))[٢].

يقول المفسر:((لقد توقف المفسرون أمام فقرة (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً) لأن الظاهر أن (الفاء) للتعقيب ، مما يعني أن ما بعدها يأتي متأخرا عما قبلها فكيف يكون مجيء العذاب بعد الإهلاك مع أن القضية بالعكس ؟

وقد ذكر في الجواب عن هذه الملاحظة وجوه متعددة أهمها ما ذكره الزمخشري[٣] : من أن المقصود بأهلكناها (أردنا إهلاكها) لا الإهلاك الفعلي) . ثانيهما : أهلكناها في حكمنا ، ولعله قريب من الأول ، والثالث : أنه مثل (زرتني فأكرمتني) فان نفس الإكرام هي الزيارة ، قال علي بن عيسى : وليس هذا مثل ذلك ، لأن هذا إنما جاز لأنه قصد الزيارة ، ثم الإكرام بها[٤] ...وربما كان الأقرب أن المسألة واردة على نحو الإجمال والتفصيل ، بأن يكون المقصود هو الحديث عن الإهلاك أولا على نحو الإجمال ، ثم الحديث عن تفعيل ذلك بمجيء العذاب في الليل أو في وقت القيلولة ، كتفصيل للإهلاك والله العالم))[٥] .

من ضمن العلاقات النصية التي اهتم بها المفسرون علاقة الإجمال والتفصيل[٦] ، ولهذه العلاقة طرق تعبيرية مختلفة ، منها استعمال أدوات ملفوظة مثل (أما) و(من) ونحوها ، وقد لا تذكر الأداة فيفهم المعنى بعلاقة ملحوظة فيكون

---

(١) من وحي القرآن وثلاثية الظهور (مقابلة) : ٨١ .

(٢) الأعراف : ٤ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٣٥٦ .

(٤) ينظر : مجمع البيان : ٣٠٨/٤ .

(٥) التفسير : ١٩/١٠ .

(٦) ينظر : لسانيات النص : ١٨٨ .

المعنى عندئذ من عطاء النص[١] ، ويرى المفسر أن العلاقة في الآية الكريمة هي علاقة إجمال وتفصيل لرفع الإشكال الوارد في الآية الكريمة ، أي إن الكلام أولا عن الإهلاك بشكل مجمل ، ومن ثم بيان التفاصيل التي تحيط بالحدث ، ذلك أن ((المجمل أقدر على إثارة الدهشة ،والمفصل إجابة على (كذا)[٢] هذه الدهشة))[٣].

ولم يكن وجود (فاء) التعقيب مانعا المفسر من اختيار هذا الرأي ، لأن امتداد القرآن وانفتاحه على معان لا تنتهي لا يمكن أن يكون من طريق اللغة والمدلولات اللغوية حسب ، بل من طريق معان أخرى تتحرك في أفق النص ، فضلا عن أن علاقة الإجمال والتفصيل تعد إحدى العلاقات الدلالية التي ((يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة))[٤] .

وأشار باحثو علم النص إلى أن علاقة الإجمال والتفصيل كما هي متجلية في النص القرآني ، لا تسلك دائما الاتجاه نفسه ، من المجمل إلى المفصل ، وإنما قد تسلك سبيلا مخالفا من المفصل إلى المجمل ، فالترتيب الأول معياري والثاني تداولي[٥] .

التفسيرية

قوله تعالى : ((وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ))[٦] .

يقول المفسر : (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ) في حيرة وتساؤل ، أو سخرية واستهزاء ، هل يراكم من أحد ؟ فكأنهم يخافون اكتشاف الناس

(١) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٤٢٠/١ .
(٢) الصواب : عن .
(٣) مداخل جديدة للتفسير : ٨٦ .
(٤) لسانيات النص : ٢٧٢ .
(٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٩ .
(٦) التوبة : ١٢٧ .

من حولهم نفاقهم من خلال سماعهم لبعض كلماتهم ، أو مشاهدة بعض حركاتهم ، وبعد أن أحسوا بالأمن والطمأنينة (ثُمَّ انصَرَفُواْ) وتفرقوا ، وذهب كل منهم إلى ناحية (صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم) عن الحق فلم يوفقهم له ، بعد أن أعرضوا عنه من غير حجة ولا دليل ولا وعي (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون) وذلك هو سبب ضلالهم ، فلو أنهم كانوا واعين لما يواجههم من دعوة الحق ورسالة الله ، في موقف فهم للفكرة والأسلوب ، لعرفوا ما فيها من هدى وحق وإيمان))[١] .

يقدم علم لغة النص تصورا دقيقا لصور الربط النصي ، فيذكر أن التماسك خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة في النص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى[٢] ،ونجد المفسر استند إلى هذا المعطى النصي في تفسير الآية، إذ ذهب إلى أن قوله تعالى : (هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ) في مقام التفسير للنظر ، أي نظر بعضهم إلى بعض نظير من يقول : هل يراكم من أحد ؟ و(من) للتأكيد و(أحد) فاعل (يراكم)[٣] ، فالمعنى المتحصل من هذه النظرة هو التساؤل فيما بين المنافقين هل كان أحد يراهم عند الإنصراف والتسلل ، وهذا المعنى لتفسير النظر خاص في هذه الآية الكريمة ولا يتعدى إلى غيرها من النظرات إلا بملاحظة العلاقة الدلالية في المتتالية النصية ، وهي . هنا . علاقة تفسيرية فيما بين (نظر بعضهم إلى بعض) و(هل يراكم من أحد) ؛ إذ جاءت العلاقة معبرة بشكل رائع عن التخفي الذي تمارسه بعض النماذج ، كما صورها النص القرآني ، ومن يتأمل طريقة القرآن في استعمال المفردات في داخل النص يجد أن ((الدقة والإيحاء ، هما أهم سمات الألفاظ في هذا النص المعجز))[٤] .

---

(١) التفسير : ٢٥٠/١١ .

(٢) ينظر : علم لغة النص : ١١١ ، واللغة والمعنى والسياق : ٢٢ .

(٣) ينظر : الميزان : ٤٢٦/١١ .

(٤) فصول في اللغة والنقد : ١٦٨ .

العلاقة التعليلية

قوله تعالى : ((وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ))[1] .

يقول المفسر : ((...وبهذا يظهر أن قوله (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) تعليل لوقوع القول عليهم والتقدير ، لأن الناس ، وقوله (كَانُوا) لإفادة استقرار عدم الإيقان فيهم ، والمراد بالآيات الآيات المشهودة من السماء والأرض غير الآيات الخارقة ، وقرئ (إن) بكسر الهمزة[2] ، وهي أرجح من قراءة الفتح ، فيؤيد ما ذكرناه وتكون الجملة بلفظها تعليلا من دون تقدير اللام))[3] .

ذهب المفسر في تفسيره للآية الكريمة إلى وجود علاقة نصية بين أطراف الآية وهي : علاقة التعليل بين عدم اليقين ، وخروج الدابة ، وهذه العلاقة إنما تأتت لدى المفسر من رؤية دلالية للنص ، إذ ينظر إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص على أنها علاقات دلالية كما ذكر من قبل[4] ، وهذا المبنى النصي نراه جليا عند المفسر ، ولاسيما بعد إيراده لقراءة (الكسر) وترجيحها لدعم رأيه ، فما يربط بين الجملتين من وجهة نظر نصية هي علاقة التعليل ، فهي إحدى العلاقات القائمة بين مختلف التراكيب اللغوية في المتتاليات النصية ، فبوساطة جملة ما يتبين علة إيراد جملة أخرى والعلاقة التي تجمع بينهما[5] .

فجملة : (أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) وقعت في موقع التعليل لخروج الدابة .

---

(١) النمل : ٨٢ .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ، ينظر : السبعة في القراءات : ٤٨٧ .

(٣) التفسير : ٢٤٥/١٧ .

(٤) ينظر : لسانيات النص : ٢٢٨ .

(٥) ينظر : النص ، وظائفه وشروطه (بحث) : ٧٠ .

الإجابة عن سؤال وارد

قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1] .

يقول المفسر : ((﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ التي يسكنها لوط ، وربما كانت الإشارة إليها بكلمة (هذه) التي تدل على الإشارة إلى القريب دلالة على قربها من مكان إبراهيم (عليه السلام) في الأرض المقدسة (قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً) فإذا كانوا ظالمين ، فإن لوطا ليس منهم ، فكيف ينزل العذاب عليها وهو فيها ؟ فإن عذاب الله إذا نزل على أهل بلد شمل الجميع ، فلا ينجو منه أحد (قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا) فقد عرفنا وجود لوط ، وقد خططنا لإخراجه منها مع أهله . ما عدا امرأته ـ قبل إنزال العذاب ، فان الله قد أنزل العذاب عليهم لاستحقاقهم ذلك ، وتمردهم على لوط واستخفافهم به ، ولاستجابة دعائه بالنصرة عليهم ، فكيف ينال العذاب!))[2] .

تمثل ((الإجابة عن سؤال وارد) علاقة نصية ترد بكثرة في النص القرآني إذ يرافقها دائما تتابع الأقوال[3] ، فتفهيم المعنى الكلي للنص لا يتوقف . دائما . على وضع لفظ خاص كي يدل عليه بالخصوص ، وإنما قد يحصل تفهيمه على نحو تعدد الدال والمدلول[4] ، وهذا ما يمكن أن يستشف من كلام السيد المفسر ، إذ قدر وجود سؤال ضمن الآية عبر عنه بالقول : (كيف ينزل العذاب؟) فجاء جواب الملائكة بقولهم (نحن أعلم بمن فيها) ، وهذه علاقة نصية واردة ضمن النص القرآني ،وتقع على المتلقي الكفء كيفية فهمها وإبرازها،فالنص يدع مناطق خاصة للمفسر يشارك من طريقها في الكشف عن العلاقة الدلالية ، ليس من كونه

---

(١) العنكبوت : ٣٢ .

(٢) التفسير : ٤٦/١٨ .

(٣)ينظر : البيان في روائع القرآن : ١/ ٤١٨ .

(٤) ينظر : مباحث الدليل اللفظي : ٧١/١ .

(مبدعا) للنص من قراءته له ((بل من حيث كونه يستخلص دلالة قد جعلها النص مفتوحة))[١] ، والنص القرآني أراد أن يبقي للمتلقي شأنا وافقا يشكلهما كي يتواصل ، ويمعن ، ويغذ السير في استجلاء دلالات النص ومعانيه ، ولاسيما في بيان العلاقات النصية التي تشكل المعنى المراد من النص القرآني في الآية الكريمة ، فذهب المفسر إلى أنها علاقة (الإجابة عن سؤال وارد) وهو ما ذهب إليه بعض القدماء[٢] .

علاقة الالتزام

قوله تعالى : ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ))[٣] .

يقول المفسر : ((قيل : إن فاعل (يستجيب) ضمير راجع إليه تعالى ، و(الَّذِينَ آمَنُوا) في موضع المفعول بنزع الخافض ، أي يستجيب لهم ما يدعونه إليه في أي شكل كانت دعوتهم ، ولاسيما العبادة التي هي مظهر من مظاهر الدعاء وهناك احتمال آخر ، وهو أن تكون عبارة (الَّذِينَ آمَنُوا) فاعل يستجيب فيكون المعنى أنهم يستجيبون لله في ما يدعوهم إليه من العمل الصالح الذي يقربهم منه ، ويجعلهم في مواقع رضوانه (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ) يزيد العاملين الصالحين من حسناته التي يضاعفها للمخلصين المتقين))[٤] .

تتعدد الأشكال التركيبية التي ترد فيها العلاقات النصية المختلفة ، ولاسيما علاقة الالتزام ، فقد تأتي في صورة مصدر منصوب نحو (وعدا علينا) ، أو فعل مضارع مؤكد بالنون نحو (لنسفعن بالناصية) ،أو جملة خبرية والى ما غير ذلك[٥].

---

(١) المنهج البنائي في التفسير : ٤٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن ، النحاس : ٩١٣/٢ .

(٣) الشورى : ٢٦ .

(٤) التفسير : ١٧٨/٢ .

(٥) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١/ ٤١٦ .

وفي الآية الكريمة تباينت آراء العلماء في تعيين فاعل (يستجيب) ومن ثم بيان العلاقة النصية في داخل الآية ، في حين ذهب الأخفش[١] ، وغيره[٢] إلى أن الفاعل هو (الذين آمنوا) ، ذهب النحاس[٣] ، والزمخشري[٤] ، وتابعهما السيد الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)[٥] إلى أن الفاعل ضمير يرجع للباري . عز وجل . وهو ما ذهب إليه المفسر ، وتكون العلاقة النصية على هذا التخريج علاقة الالتزام ، وهو ما يبينه قوله : ((أي ويستجيب لهم في أي شكل كانت دعوتهم) ، ونجده استند إلى . دال نصي موجود في داخل الآية هو (التوازي) لتعضيد رأيه، أي قوله تعالى (وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ) ، فقد استحضر المفسر الخطاب الكلي لبيان العلاقة النصية في الآية ، ومن ثم الدلالة الكلية للنص بحيثية ورود دال نصي هو التوازي كما يرى فضل الله .

أما الرأي الثاني الذي عرضه فهو ليس غريبا عن البحث النصي ، إذ تتراوح العلاقات النصية بين الوضوح الصريح ، ودقة الاستخراج وأن تكون عرضة للاحتمال في بعض الأحيان[٦] ، إذ يتردد المتلقي في تشخيص العلاقة النصية ، ونسبتها إلى علاقة محددة ، إلا أن تقوم قرينة ما على أن إحدى العلاقتين أولى من الأخرى ، وهذا ما يبدو واضحا في اختلاف المفسرين في الآية ، فمن ذهب إلى أن الفاعل هو الباري عز وجل ، فالعلاقة علاقة التزام ، ومن ذهب إلى فاعلية المؤمنين ، فالعلاقة تأخذ منحى آخر .

---

(١) ينظر : معاني القرآن : ٥١٠/٢ .
(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١١٣٢/٢ ، والكشاف : ٩٧٩ .
(٣) ينظر : معاني القرآن : ١١٣٢/٢ .
(٤) ينظر : الكشاف : ٩٧٩ .
(٥) ينظر : الميزان : ١٨ /٥١ .
(٦) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٤٠٤/١ .

الترتيب والتعقيب

قوله تعالى : ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ))[1] .

يقول المفسر : ((النظر إذا تعدى بنفسه أفاد معنى الانتظار والامهال ، وإذا تعدى بـ(إلى) نظر إليه كان بمعنى إلقاء البصر نحو الشيء ، وإذا عدي بـ(في) كان بمعنى التأمل ..انظرونا ، أي أمهلونا حتى نأخذ شيئا من هذا النور الذي يسعى بين أيديكم وبإيمانكم...وقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، من هو القائل؟ هل هم الملائكة ؟ أو هم المؤمنون والمؤمنات ؟ أو هم أناس من أصحاب الأعراف ؟ إن الآية لا تدل على شيء من ذلك ، بل هي انطلقت من أسلوب تجهيل الفاعل ؛ لأن المقصود هو إثارة الفكرة التي تضعهم وجها لوجه أمام الحقيقة الصارخة ، فليس في الأمر نور يواجهونه ، بل لابد لهم من أن يبحثوا وراءهم ليلتمسوا النور هناك ، وإذا كانت الدنيا هي (الوراء) فكيف يرجعون إليها ولا مجال هناك للرجوع،فيكون التعبير واردا على سبيل الاستهزاء والتهكم))[2].

تعد علاقة الترتيب والتعقيب من العلاقات الملحوظة في القرآن الكريم ، وأكثر ما تبدو هذه العلاقة في توالي الأقوال وفي الحوار[3] ، ونجد المفسر عمد في تفسيره للآية الكريمة إلى تجزئة المواقف والأقوال للوصول إلى المعنى الكلي للنص ، عبر العلاقات النصية المستقاة من التراكيب التي بني عليها .

ونلحظ استناده إلى تعدية الفعل بنفسه للدلالة على موقف الكافرين وطلبهم ، وهو قريب من رأي الفراء[4] ، أما بالنسبة إلى مسألة

---

(١) الحديد : ١٣ .

(٢) التفسير : ٢٣/٢٢ . ٢٤ .

(٣) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٤١٤/١ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ١٢٣/٣ .

ـ تجهيل الفاعل . على حد تعبيره ، فترمي إلى تعميق الصورة القرآنية من طريق الخطوط العامة ، لا من طريق التعيين وحصر الصورة في نطاق محدد[١] .

ويرى أن قوله تعالى (ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ)جار على سبيل السخرية لبيان الرد والتعقيب على طلبهم بالإمهال ؛ لأن الدنيا هي الوراء ، وهذا يعني تعجيزهم من طريق استعمال مفردة الوراء ((فدلالة الكلمة قد تومئ إلى معنى ، أو ترمز إلى صورة نفسية أو عقلية))[٢] ، وهذا ما نجده واضحا لدى المفسر .

علاقة الملابسة

وتعني اتفاق زمان الوقوع أو مكان الاستقرار ، كاتفاق زمان المجيء والركوب في جاء زيد راكبا،أو استقرار الزوجين في بيت واحد (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ)[٣] ،وقد يعبر عن هذه العلاقة باللفظ مثل اقتران جملة الحال بالواو كما في (جاء محمد وهو يهرول)،وقد تكون الملابسة ملحوظة غير ملفوظة[٤] .

يقول المفسر في الآية الكريمة ((لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ))[٥] ما نصه : ((إن المراد من البلد هو مكة ،ولاسيما أن السورة مكية كما يؤيده السياق، وكما هو مشهور بين المفسرين ، وأما قيمة هذا البلد فتتمثل في أنه بيت الله الحرام الذي جعله الله ساحة للسلام...(وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) ، أي حال مقيم فيه،لتنطلق منه حركة الرسالة...وبذلك يأخذ هذا البلد في وجودك فيه ، وحركتك في مواقع الرسالة ، شرفا عظيما وأهمية كبيرة جديدة ، لأن عظمته كانت تكمن في وجود بيت الله فيه ... ومما يجعل من موقعك موقعا جديدا لشرفه ورفعته .

---

(١) ينظر من وحي القرآن (حوار مع المفسر) : ٦٤ .

(٢) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : ٦٢ .

(٣) البقرة : ١٨٧ .

(٤) ينظر : البيان في روائع القرآن : ٤١٥/١ .

(٥) البلد : ١ . ٢ .

وهناك تفسير آخر محصلة تفسير الحل بمعنى المحل ضد المحرم والمعنى: سنحل لك يوم فتح مكة حينا فتقاتل وتقتل فيه من شئت ،وهو خلاف الظاهر))[١] .

اختلفت آراء العلماء في بيان العلاقة النصية في الآيات الكريمة ، فذهب الفراء[٢] ، والكرماني[٣] ، والزمخشري[٤] إلى تفسير المحل ضد المحرم ، ويكون المعنى هاهنا واضحا كما ذكر المفسر .

وذهب السيد فضل الله إلى العلاقة النصية للآية هي الملابسة ، أي إن القسم بحرمة البلد ما دام الرسول (ص) حال . مقيم . فيه ، وهو الرأي الذي ذهب إليه الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ)[٥] ، وابن القيم (ت٧٥١هـ)[٦] إذ قال : (إنه من الحلول ضد الظعن) .

واستند المفسر في بيان العلاقة إلى عنصر ملفوظ وهو (واو الحال) ، والى عنصر ملحوظ ، أي الظروف والسياقات التي تحيط بالنص ، فـ((كلما أتيحت لنا . بدقة . رصد السياقات التي تحيط بعملية الإبداع ، استطعنا تفهم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام))[٧] .

ويمكن بيان أهمية البلد في اكتسابه قيمة جديدة ، فضلا عن شرفه السابق . أقصد حلول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه كما يرى السيد فضل الله ، وتأتى هذا الفهم للنص . لديه . من كونه لا يدرس العبارات اللغوية ، ومن ثم

---

(١) التفسير : ٢٦١/٢٤ . ٢٦٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن : ٢٦٣/٣ .

(٣) ينظر : البرهان : ٣٦١ .

(٤) ينظر : الكشاف : ١٢٠٣ .

(٥) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : ١٧١/١ ، ويبدو أن مراد الراغب من كلامه هو تفسير (الحل) بمعنى الإحرام ، لا كما فسرت بنت الشاطئ كلامه ، ينظر : المفردات ٢٥١ .

(٦) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ٢٥ .

(٧) البلاغة والأسلوبية : ٢٤٢ .

النصوص في بنائها حسب ، وإنما يريد معرفة المضامين والعلاقات التي تنشأ بينها لتؤدي غرضا معينا[1] .

ويمكن تلمس العلاقات النصية لدى المفسر في تفسيره على النحو الآتي :

١٤١/١ .

٤٣/٣ ، ١١٧ ، ١٦٧ .

٥٠/٤ .

١٣٧/٥ ، ٢٦٧ .

٣٨/٨ . ٣٩ ، ٣٦١ . ٣٦٢ .

١٩٢/٩ . ١٩٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ .

١٩/١٠ ، ١٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٦٤ .

١٥١/١٢ .

١٩٣/١٣ .

١٠٠/١٤ ، ١٣٤ . ١٣٥ ، ١٤٧ .

٢٩٤/١٦ . ٢٩٥ ، ٣٥٦ .

٨٤/١٧ ، ٩٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٧٠ .

٤٧/١٨ ، ١٣٦ .

٨١/١٩ ، ١٢٧ .

١٥٧/٢٠ .

٢٠٩/٢١ .

٣٠/٢٢ .

(١) من وحي القرآن وثلاثية الظهور (لقاء مع المفسر) : ٨١ .

المبحث الثالث

تعيين المخاطب في النص

يمثل النص شكلا من أشكال الاتصال يتحقق باللغة ومن طريق اللغة ، ويفترض طرفا آخر لاكتماله ألا وهو القارئ[١] ، فلا يمكن تبيين كنه الكلام على نحو دقيق ، إلا بعد التعرف على من وجه إليه الخطاب في داخل النص[٢] ، فهو بحسب . باحث معاصر[٣] . مجموعة من التوجيهات الموجهة إلى مخاطب ما ، وتعيين المخاطب في النص ، مثل أمرا مهما من الأمور التي حفل بها البحث النصي ، فالعلاقة بين المرسل والمتلقي . في داخل النص . التي حرصت البلاغة على إبرازها ، قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال ، ومن ثم إلى التداولية التي عنيت بالسياقات المختلفة وأطراف الموقف التواصلي عناية كبيرة[٤] ، فللفعل الدلالي غاية أساسية هي استدعاء فهم المخاطب وإبلاغه شيئا ما[٥] . وحرص المفسرون . على اختلاف مشاربهم . على تعيين المقصود في النص القرآني ، فمن المعروف أنه نص مجزأ ، أي نص نزل في حقبة زمنية تربو على العشرين عاما ، ومن جهة أخرى تعددت مستويات الخطاب وقصدية النص القرآني تجاه مخاطب بعينه[٦] .

ويبدو . لي . أن فهم القرآن الكريم ، بل وعيه واستيعابه ، يحتاج إلى مداخل رئيسة ، تؤلف هذه المداخل آليات تفسير النص القرآني ، وإن كل خطاب داخل النص القرآني العظيم يرجع إلى مجموعة عوامل أساسية تنظم تصوراته وطروحاته التي تضبط قصدية النص تجاه أمر ما ، ولعل تعيين المخاطب من الأمور الأساسية التي تساعد على ذلك ، فوظيفة المفسر تجاه النص هي وظيفة المصغي

---

(١) ينظر : مقدمة في نظريات الخطاب : ٣٢ .

(٢) ينظر : عناصر تحقيق الدلالة في العربية : ١٧٤ .

(٣) ينظر : لسانيات التواصل (بحث) : ٤٠٤ .

(٤) ينظر : علم لغة النص : ٢٣ .

(٥) ينظر : تيارات في السيمياء : ٩٧ .

(٦) ينظر : النص . السلطة . الحقيقة : ١٠٣ .

والمتفهم والمتلقي ، فـ(القرآن يعطي بمقدار ما يفهم المفسر من مدلولات الخطاب والمخاطبين))[1] ، وهناك العديد من الآيات التي اختلف في تعيين المخاطب فيها كما عرضها المفسر ، نذكر منها : .

قوله تعالى ((أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[2] .

يقول المفسر : (((وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) الظاهر منها . بقرينة السياق . هو أنها خطاب للذين يجهدهم القضاء ، فتباح لهم الفدية ، لإعلامهم بأن الفدية وإن كانت جائزة ، إلا أن الصوم خير لهم إن كانوا يعلمون ، لما فيه من النتائج الروحية والعملية ، وهناك احتمال آخر بأن الفقرة واردة في الحديث عن الصوم بأنه خير للناس في ذاته بحسب فلسفة الصوم في تشريعه من حيث المنافع الكثيرة العائدة إلى الناس ، وبهذا يبطل قول من قال : إن الصوم في بداية التشريع كان واجبا تخييريا ، وكان المسلمون مخيرين بين الصوم والفدية ، ثم نسخ ذلك بعد أن تعود المسلمون على الصوم ، فأصبح واجبا عينيا ، وهو خلاف الظاهر))[3]

تميز المفسر بوصفه مجتهدا قادرا على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة العامة ، وحينما يكون المجتهد مفسرا أيضا ، فإن ذلك يعني أن المفسر يمتلك ذهنية شمولية في التعامل مع النص القرآني في حال تفسيره أولا ، وإنه قادر على الإفادة من كتاب الله العزيز لبيان الحكم الشرعي ثانيا ، ولهذا وجدناه يفيد من سياق الآية لبيان الحكم الشرعي وتحديده ، فالمقصود بالخطاب هم من يجهدهم القضاء بحسب المفسر ، واستند إلى السياق الداخلي للنص لتأييد هذا الرأي ، فتحديد أية دلالة

(١) المدرسة التأويلية المعاصرة (بحث) : ٢٧ .

(٢) البقرة : ١٨٤ .

(٣) التفسير : ٤/٢٦ . ٢٧.

نصية يستدعي النظر في معطيات النص الداخلية والخارجية المشاركة في دلالته[١] ، فالقرآن الكريم يفهم من طريق ربط جمله المشتركة في قضية واحدة ، يعاضد بعضها البعض لتبيين مقصود الخطاب[٢] .

ورد الرأي القائل إن الصوم في بداية التشريع ...الخ لأنه خلاف ظاهر النص لدى المفسر ، وهذه هي مهمته الأولى في التوجيه والتثبت والترجيح ، بمعنى انه يوجه النص القرآني توجيها دقيقا من غير تمحل ولا فرض ، وهذا التوجيه يستند إلى النظم القرآني لبيان الدلالة المقصودة[٣] .

قوله تعالى : ((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا))[٤] .

يقول المفسر : ((والخطاب . كما قيل . قد يكون واردا لمن في يده المال لكي لا يمكن منه السفهاء ، وقد يكون واردا للآباء الذين قد يملكون أولادهم أموالهم في حياتهم فيوجهونها في غير مصلحتهم ، ثم يحتاجون إليها في زمن الشيخوخة فلا يعطونهم منها شيئا ، ولكن ذلك بعيد عن سياق الآية فهي . على الظاهر . موجهة للأولياء الذين يتولون أمور القاصرين ، ويحركون أموالهم فلا يمكنونهم منه إذا لم يكونوا في مرحلة الرشد))[٥] .

اختلف المفسرون في تحديد المخاطب في الآية القرآنية ، فذهب بعضهم إلى أن المخاطب هم الآباء كما عرض المفسر ، وذهب آخرون إلى توجيه الخطاب لمن بيده المال[٦] ، والظاهر أن المراد بها أموال اليتامى ، لورودها في مورد الحديث عنها ، وهو اختيار فضل الله ، واستند في تعيين المخاطب إلى السياق ، ذلك أن

---

(١) لسانيات النص (بحث) ٣٤٦ .

(٢) ينظر : دلالة تراكيب الجمل : ٢٥٥ .

(٣) ينظر : البحث الدلالي في تفسير الميزان : ١٣٤ . ١٤٤ .

(٤) النساء : ٥ .

(٥) التفسير : ٧٦/٧ .

(٦) ينظر : الكشاف : ٢١٩ ، والميزان : ١٧٦/٤ .

((الاقتصار على فهم الوحدة الكلامية دون (كذا)[١] الأخذ بالسياق كثيرا ما ينتج عنه خلاف في فهم الوحدة الكلامية ، وقد تقل نسبة الخلاف لو روعي السياق عند محاولة فهم الوحدات الكلامية وتحديد معناها))[٢] .

وتؤدي سياقات الاتصال التي يرد فيها النص أثرا أساسيا في توجيه المتلقي نحو تعيين المقصود بالخطاب في النص ، فتحديد المخاطب ومن ثم تحديد المعنى، إنما يعتمد على القرائن الموجودة في داخل النص وخارجه ، فضلا عن أن علاقة النص بالواقع جزءا أصيلا من مفهوم النص نفسه ، للارتباط الضروري بين النص والواقع ، ومن ثم بين الإسلام وحركة المجتمع[٣] ، ولعل هذا ما المح إليه المفسر في بيان علة إضافة الأموال إلى المجتمع بقوله : ((أموالكم ، لعل إضافة الأموال إلى المجتمع للإشارة إلى أن اصل الأموال ناتج عن ارتباطها ، حتى في حركة الفرد فيها ، بالمصلحة العامة))[٤] ، و((كل خطاب لا يمكن إلا أن يكون ناظرا للأوضاع البيئية والاجتماعية لعصره))[٥] ، فكلما أشار النص إلى الوقائع المعطاة التي ينتمي إليها عالم السلوك الاجتماعي للمتلقين ، كان ذا أثر في فهم النص جميعا ، وهذا ما نجده بشكل واضح في تعامل المفسر مع الآية الكريمة .

قوله تعالى : ((وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً))[٦] .

يقول المفسر : ((قد اختلف الرأي في المخاطبين بهذا الأمر ، فقيل : إن المخاطبين بذلك هم الورثة الذين يريد الله منهم أن يرزقوا هؤلاء الفقراء من الأقرباء

---

(١) الصواب : من غير .

(٢) دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين : ٢٤٤ ، وينظر : مقدمة في نظريات الخطاب : ٢٢ .

(٣) ينظر : مفهوم النص : ٩٧ .

(٤) التفسير : ٧٤/٧ .

(٥) ينظر : منهج التعاطي مع القرآن (بحث) : ٢٥ .

(٦) النساء : ٨ .

واليتامى والمساكين شيئا من نصيبهم صدقة وإحسانا ، وقيل إن المخاطبين الناس الذين تحضرهم الوفاة ، فيجتمع حولهم هؤلاء ، ومن لا نصيب لهم في الميراث ليوصوا لهم بشيء من التركة،فأراد الله منهم القيام بالإيصاء إليهم،والظاهر أن الوجه الأول اقرب للسياق؛لأن الحديث يتركز في حالة حضورهم قسمة التركة،وهذا لا يتناسب مع الوجه الثاني؛لأن حالة الاحتضار ليست حالة القسمة،حتى لو كان الميت يريد الوصية لبعض الناس،فهو لا ينطبق عليه عنوان القسمة الواردة في حالة الشركة الحاصلة بعد الموت من خلال الإرث))[١] .

ذهب الزمخشري [٢] ، ومن بعده السيد الطباطبائي[٣] إلى أن المخاطب في هذا النص القرآني هم الورثة،وهو مختار المفسر ،ونجده استند إلى الجانب التداولي لترجيح رأيه واستبعاد الرأي الثاني،الذي يرى أن المخاطبين هم الناس الذين تحضرهم الوفاة،فالنص مرتبط بشكل نسقي مع الفعل التواصلي،والمكون التداولي لا يحدد شروط المناسبة للجمل والخطاب،بل سيحدد أيضا شروط مناسبة الخطاب للمتلقي،والمقصود بالمناسبة هنا مناسبة النص للسياقات التواصلية التي قيل فيها[٤]، ولما كان الحديث يدور في فلك الأموال وأحكام الإرث،جاء الخطاب القرآني لبيان أهمية التكافل الاجتماعي بين فئات المجتمع ، ويشهد على ذلك ذكرهم مع اليتامى والمساكين فيكون الخطاب حينئذ لأولياء الميت والورثة،وهذه قرينة من داخل النص كما يرى المفسر ،واستند إلى قرينة عقلية خارج النص لدعم الوجه الذي اختاره،يتبين هذا من قوله : ((لأن حالة الاحتضار ليست حالة القسمة)) ، فهذه قرينة من خارج النص ساعدت في تعيين المخاطب ، فإذا كان الخطاب يرتبط في داخله ترابطا

(١) التفسير : ١٠١/٧ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٢١ .

(٣) ينظر : الميزان : ٢٠٦/٤ .

(٤) ينظر : لسانيات النص : ٢٩ ، والنص والسياق : ٣ .

تعليقيا وعضويا فانه يرتبط كذلك بالواقع الخارجي[١] ، وهذا واضح من كلام المفسر الطويل في الآية .

قوله تعالى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٢] .

يرى المفسر أن المخاطبين في هذه الآية هم الناس ليكون الحمد بذلك إلى جانب التسبيح هو الجو الذي يحكم حركة الناس . على حد تعبيره . وهناك تفسير آخر لصاحب الميزان يختلف بعض الشيء عما المحنا إليه ، فقد ذكر ((أن التسبيح والتحميد في الآيتين إنشاء تنزيه وثناء منه تعالى لا من غيره ، حتى يكون المعنى : قولوا سبحان الله ، وقولوا الحمد لله ، فقد تكرر من كلامه تسبيحه وتحميده لنفسه))[٣] . ويقول المفسر : ((أما تعليقنا عليه ، فهو أن هذا الذي ذكره صحيح في نفسه ، ولكن توجيه الخطاب إلى الناس بقوله (حين تمسون وحين تصبحون) إلى قوله (وعشيا وحين تظهرون) قد يجعل المعنى الذي ذكرناه اقرب مما ذكره ، فيما قد يظهر منه أن المراد هو توجيه الناس إلى ممارسة تسبيحه وتحميده والله العالم))[٤] .

إذا كان الخطاب ((توصيل لرسالة ما عبر اللغة))[٥] فان تعيين المخاطب المقصود في النص ، يشارك مشاركة فعلية في الوصول إلى الدلالة المتوخاة من النص[٦] ، وهذا ما يراه المفسر في تفسيره للآية الكريمة ، إذ ذهب إلى أن المقصود هو إنشاء التسبيح من المتلقي . الناس . بقرينة توجيه الخطاب إليهم ، وأفاد المفسر من القرائن اللفظية في داخل الآية لاختيار هذا التوجيه ، فالبحث النصي يميل ((إلى فهم كل القرائن التي تحيط بالنص في تحديد أبعاده الدلالية))[٧]، سواء أكانت هذه

---

(١) ينظر : وصف اللغة العربية دلاليا : ١٣٦ .

(٢) الروم : ١٧ .

(٣) الميزان : ١٦٦/١٦ .

(٤) التفسير : ١١١/١٨ .

(٥) مقدمة في نظريات الخطاب : ٣٥ .

(٦) المدرسة التأويلية (بحث) : ٢١ .

(٧) علم اللسانيات الحديثة : ٥٤٣ .

القرائن حالية أم مقالية ، كما في الآية الكريمة ، وفي النص القرآني يمكن القول بشكل عام : إن سياق التخاطب الأساسي فيه يجعل محور الخطاب أعلى/أدنى ، وعلى أساس هذا المحور تتحدد التعليمية بوصفها سمة أساسية للنص ، فضلا عن أن القرآن لم ينزل ليخاطب المسلمين في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب ، وإنما نزل ليكون خطابا عاليا يطل على المكان من غير أن يتمحور فيه ، ويدور مع الزمان من غير أن ينغلق عليه[1] .

قوله تعالى : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[2] .

يقول المفسر : ((...ولم يؤمنوا بها ولا بالرجوع إليه في يوم القيامة ، لذلك تصرفوا بعقلية الغريزة ، لا بروحية المسؤولية ، فعاثوا في الأرض فسادا ، وابتعدوا عن الخط المستقيم (أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي) ؛ لأن رحمة الله لا تنال الجاحدين له ، المعاندين لرسله (وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) جزاء على كفرهم وعنادهم ... والظاهر أن الخطاب في هذه الآية موجه إلى النبي (ص) وليس من كلام النبي (صلى الله عليه وآله)،وإلا لكان المناسب أن يقول من رحمة الله))[3] .

تتجه القراءة الكلية للنص القرآني إلى التشبث بمحددات الدلالة اللغوية ، فيكون وجود محددا ما راجحا على الاحتمالات الأخرى المفترضة في النص ، وهذا ما نظر إليه المفسر في قوله : إن الخطاب موجه إلى النبي (ص) فهو خارج من مقول القول السابق (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) والدليل عليه ورود كلمة أولئك مرتين ، ولو كان من كلام النبي (ص) لقيل : أولئكم ، وقد استند في تعيين المخاطب في الآية إلى البناء التركيبي للنص ((فالنظم هنا مدخل لفهم المعنى لأنه يكشف عن

(١) ينظر : خلاصة التفاسير (بحث) : ٧٨ ، والتفسير : ١١٢/١٨ .
(٢) العنكبوت : ٢٣ .
(٣) التفسير : ٣٥/١٨ .

نسق المعاني))[١] ، فالضمائر في الوحدة النصية من الأمور التي تتيح للمفسر الوصول إلى دلالة معينة ، إذ تمثل مرتكزا من مرتكزات إدراك العلاقات بين الكلمات ، وكيفية بناء التراكيب[٢] ، وهذا ما يلاحظ من قول المفسر : وإلا لكان من المناسب أن يقول:من رحمة الله ، فكل سياق من سياقات الخطاب يتجلى في بنية لغوية خاصة داخل إطار النظام اللغوي العام للنص من طريق التراكيب والضمائر التي هي ضمن فضاء النص[٣] ، وحضور المتلقي أمر بديهي في حركة الصياغة اللغوية من طريق التنكير والتعريف والغيبة والحضور وما إلى ذلك[٤] .

قوله تعالى : ((وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا))[٥]

يقول المفسر : ((الظاهر أن المراد هو أن هؤلاء الأنس ظنوا كما ظننتم . أيها الجن . والخطاب لقومهم من الكفرة ، إذا كان الكلام من كلام الجن ، كما هو ظاهر ، أو أن المقصود على غير الظاهر ، هو خطاب الإنس بأن الكافرين من الجن ظنوا كما ظننتم))[٦] .

يمثل التوجه نحو المتلقي ميزة خاصة ، وسمة من سمات النص القرآني الكثيرة ، وهذا ما يتجلى في أسلوب الحوار وطريقة التخاطب[٧] ، إذ أبقى النص القرآني للمتلقي شانا وافقا يشكلهما بنفسه ، كي يتواصل ويمعن في استجلاء معاني النص من طريق معرفة المخاطب وتعيينه من الضمائر الواردة في النص ، إذ يقوم الضمير في الوحدة الكلامية الإحالة إلى مرجعه ، ويقوم المرجع بوظيفة المفسر الذي يحدد متعلق الضمير ، وقد يكون سببا في الغموض الدلالي ، وذلك إذا تردد

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٢٠٧ .

(٢) ينظر : العربية ، شاهين : ١٣٥ ، وجدلية الإفراد والتركيب : ٢٤٠ .

(٣) ينظر : النص . السلطة . الحقيقة : ١٠٦ .

(٤) ينظر : جدلية الإفراد والتركيب : ١٨٦ .

(٥) الجن : ٧ .

(٦) التفسير : ١٥٠/٢٣ . ١٥١ .

(٧) ينظر : استقبال النص عند العرب : ١٥ . ١٦ .

الضمير بين مرجعين[١] ، كما يلحظ في الآية الكريمة ، ونجد أن المفسر رجح أن يكون المخاطب والمخاطب من الجن ، لا كما ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية والتي قبلها ليستا من كلام الجن ، بل من كلامه تعالى ، ((وعليه فضمير (أنهم) للجن ، والخطاب (ظننتم) للناس))[٢] ، وهو ما استبعده السيد فضل الله بقرينتي الجو والسياق اللتين وردتا فيهما الآية ،وهو دال نصي ساعد في تعيين المخاطب في النص القرآني،فالجو الذي وردت فيه الآية . بحسب المفسر . هو جو الحديث الذي يدور بين الجن . عن الرسالة والرسول ، والتشريعات التي أنزلها الله على النبي (ص) ((ولا يكون الخطاب دالا بتمامه ، إلا بمقارنته بالوسط الظرفي للكلام))[٣] ، وهذه المعطيات النصية أفاد منها في تعيين المخاطب في النص ، ومن ثم بيان الدلالة الكلية للنص ، الأمر الذي ينتج بنية دلالية متلاحمة الأجزاء منسجمة فيما بينها ،ويلاحظ أن له أثرا في اكتشاف دلالة النص، وعدم الاقتصار على حدود معرفة علوم اللغة فقط ، بل يتجاوزها إلى الترجيح الدلالي للوصول إلى المعنى المقصود .

(١) ينظر : دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين : ٢٣١ . ٢٣٢ .

(٢) الميزان : ٤٦/٢٠ .

(٣) من النص إلى الفعل : ١٠٧ .

ويمكن تلمس تعيين المخاطب في النص عند المفسر على النحو الآتي :

٢٥٨/١ .

١٧٣/٦ .

٢٦/٧ .

١٤٨/٨ ، ٢٠١ ، ٣٧٢ .

١٥/١٠ ، ١١١ ، ٤٢٥ .

٨٦/١٣ .

١٤٥/١٤ ، ١٩٣ .

٢٨٤/١٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ .

١٨٣/١٩ .

١٥٣/٢٠ .

١٧/٢٢ ، ٢٦٠ .

٦٨/٢٣ ، ١٥١ .

٣٤٣/٢٤ .

النتائج

توصل هذا البحث المتواضع إلى نتائج متعددة يمكن إيجازها على النحو الآتي :

١. لم يرتبط . علم لغة النص . في نشأته أو تطوره ببلد معين ، أو بمدرسة معينة ، أو باتجاه محدد ، وإنما هو حقل متمازج المعارف يمثل خلاصة تطور كثير من العلوم والمناهج ، إذ شهد عقد السبعينيات من القرن الماضي تركيزا مكثفا عليه .

٢. على الرغم من وجود الفوارق المتعددة بين النص والجملة ، إن الجملة ظلت تمثل الركيزة الأساس من ركائز البحث النصي .

٣. أولى البحث النصي اهتمامه بالمعنى ، وبهذا الاتجاه سار النصيون ، فيكاد المعنى يمثل هدف البحث النصي وغايته .

٤. لم يسلك البحث النصي المعاصر اتجاها واحدا ، وإنما تعددت الاتجاهات بتعدد نظريات أصحابها ، وإن كانت في حقيقة الأمر يتداخل بعضها مع بعض تداخلا كبيرا .

٥. وقف علماؤنا القدماء على توصيف طائفة من المبادئ العامة للممارسة اللغوية في شكلها النصي من حيث التماسك والقصدية وغيرهما .

٦. بينت الدراسة إمكانية تناول الجهد التفسيري للعلماء في تفسير القرآن الكريم من وجهة نظر نصية ، تزاد على الجوانب الأخرى في مستويات اللغة ، الصرفي، والنحوي ، وما إلى ذلك من الدراسات .

٧. يمثل التماسك النصي صلب البحث النصي ، وللمتلقي أثر واضح في بيانه، فهو يضيف أبعادا جديدة في فهم النص ودلالاته ، وهو الذي يحكم على نصية النص من عدمها ، ويكون عمل التلقي على وفق شروط معينة .

٨. اعتمد المفسر على تفسير القرآن بالقرآن منهجا في معظم المواقف التي أتاحت له معابر النص بقصد الكشف عن النص ومرامي المعنى .

٩. استند المفسر إلى القراءة الكلية للنص القرآني وعده نصا واحدا من جهة الأثر الكلي الذي ينتجه من طريق دلالاته الجزئية .

١٠. تعامل المفسر مع النص القرآني بخلفية نصية منفتحة ، ولم ينغلق تجاه النص على أقوال المفسرين السابقين حسب .

١١. مثلت الوسائل اللغوية محورا مهما من وسائل التماسك في النص القرآني ، واختلفت آراء العلماء بشأنها ، ومن ثم اختلاف الدلالة ، وهذا ما لمسناه بشكل واضح عند المفسر .

١٢. الإحالة عنصر مهم من عناصر التماسك النصي ، واستند المفسر إليها كثيرا لبيان تماسك النص القرآني على نحو بعينه .

١٣. للسياق أثر واضح في التماسك النصي،ونجد أن المفسر اعتمد عليه أساسا في الكشف عن معاني النص القرآني،وفي رد جملة من آراء المفسرين أو قبولها.

١٤. استعان المفسر بالمقام ، وما يتصل به من أسباب النزول وأجواء النص القرآني . بشكل واضح . في تفسيره ، ولجأ إلى عناصر من خارج النص لتوضيح دلالته .

١٥. مثل المكنون المعرفي خلفية مرجعية مهمة لدى المفسر ، استند إليها في كثير من الآيات القرآنية كما أوضحت الدراسة ذلك .

١٦. اهتم المفسر اهتماما كبيرا بالبنى النصية الكبرى حتى أنه صدر معظم السور الكريمة ببيانها ، وتراوحت في أثناء التفسير البنى النصية العليا التي أوردها السيد فضل الله .

١٧. رصد البحث كثيرا من العلاقات النصية ، إذ شكلت هذه العلاقات جانبا مهما من التفسير ، فنرى المفسر يصرح بها تارة ، ويشير إليها على نحو الإجمال تارة أخرى .

١٨. تنوعت العلاقات النصية في داخل النص القرآني . بحسب ما يرى المفسر . واستند إليها في بيان المعنى الكلي للنص في مواضع كثيرة من تفسيره .

١٩. مثل تعيين المخاطب في النص جانبا تداوليا مهما حفل به السيد فضل الله ، لما له من علاقة في الكشف عن الدلالة المتوخاة من النص القرآني .

٢٠. استند المفسر إلى التداولية في أغلب المواضع التي عين فيها المخاطب في النص .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- اتجاهات البحث اللساني ، ميلكا إفيتش ، ترجمة : سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية ، د. محمد عبد الرحمان الريحاني ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث . من خلال بعض نماذجه . ، توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م .
- أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية ، د. يوسف خلف محل العيساوي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .
- الأدب والدلالة ، تزفتان تودروف ، ترجمة : د. محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط١ ، ١٩٩٦م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لأبي السعود العمادي (ت٩٨٢هـ) تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض ، السعودية ، ١٩٧١م .
- أسئلة وردود من القلب مع العلامة السيد محمد حسين فضل الله ، حاوره : وضاح يوسف الحلو ، وإسماعيل الفقيه ، دار الملاك ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٤هـ . ٢٠٠٤م .
- أساس البلاغة ، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م .
- أساسيات اللغة ، ر.ل. تراسك ، ترجمة : رانيا إبراهيم يوسف ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط١، ٢٠٠٢م .

- أساليب العطف في القرآن الكريم ، د. مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ١٩٩٩م .
- استقبال النص عند العرب ، د. محمد رضا مبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، د. محمود فهمي حجازي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، (د.ت) .
- الأسلوب والأسلوبية ، بيير غيرو ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي ، لبنان (د.ت) .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لأبي عبد الله الحسين بن احمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، دار التربية ، بغداد (د.ت).
- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م .
- أعيان الشيعة ، محسن الأمين (ت١٣٧٢هـ) ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
- الأمالي الشجرية ، ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
- انفتاح النص الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .
- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ، د. حسام البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م .
- البحث الدلالي في تفسير الميزان ، دراسة في تحليل النص ، د. مشكور كاظم العوادي ، مؤسسة البلاغ ، دار سلوني ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .

- البحر المحيط ، أثير الدين محمد بن يوسف ين علي الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ) ، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه : د. عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- بدائع الفوائد ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، اعتنى به محمد عبد القادر الفاضلي ، ود. احمد عوض أبو الشباب ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .
- البرهان في متشابه القرآن ، للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت بعد ٥٠٠هـ) ، تحقيق : احمد عز الدين خلف الله ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ . ١٩٩١م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، صفر ١٤١٣هـ . أغسطس . آب ١٩٩٢م .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، محمد حسنين موسى ، دار الحمامي ، مصر (د.ت) .
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .
- البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨١هـ . ١٩٦٩م .
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، امبرتو ايكو ، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان (د.ت).
- التباين وأثره في تشكيل النظرية اللغوية العربية ، د. وليد العناتي ، وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ٢٠٠٢م .

- التبيان في إعراب القرآن ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .
- التبيان في أقسام القرآن ، شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ . ١٩٨٢م .
- تحليل الخطاب ، تأليف ج . ب . بروان . ج . بول ، ترجمة وتعليق : محمد لطفي الزليطي ، ود. منير التريكي ، جامعة الملك سعود ، ط١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م .
- تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير ، للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م .
- التصور اللغوي عند الأصوليين ، د. السيد احمد عبد الغفار ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .
- تطبيقات في المناهج اللغوية ، د. إسماعيل احمد عمايرة ، دار وائل للطباعة والنشر ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- التعبير الصحيح ، د. نعمة رحيم العزاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- التعبير الفني في القرآن ، د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، ط٨ ، ٢٠٠٤م .
- التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة ، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ، إيران (د.ت) .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- التمهيد في أصول الفقه ، محفوظ بن احمد بن الحسن الكلوذاني ، تحقيق مفيد محمد أبو عمشة ، دار المدني للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٥م .

- تيارات في السيمياء ، د. عادل فاخوري ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م .
- جدل اللفظ والمعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ، د. مهدي اسعد عرار ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين علي بن محمد (ت٦٤٣هـ) ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م.
- حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع ، محمد حسين فضل الله ، إعداد وتنسيق : نجيب نور الدين ، دار الملاك ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
- خصائص التعبير الفني وسماته البلاغية ، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطبعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .
- الخطاب والمترجم ، باسل حاتم ، وإيان ميسون ، ترجمة عمر فايز عطاري ، جامعة الملك سعود ، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .
- دراسات في اللسانيات التطبيقية ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٣م .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة (د.ت) .
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ١٩٩٩م .
- الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري ، د. عيسى شحاتة عيسى علي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ٢٠٠١م .
- دروس في علم الأصول ، محمد باقر الصدر ، (ت١٩٨٠م) ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م .

- دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين ، د. موسى بن مصطفى العبيدات ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي ، ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .
- دنيا الشباب ، محمد حسين فضل الله ، حوار : أحمد أحمد ، وعادل القاضي ، مؤسسة التعارف ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د.كمال بشر ، مكتبة الشباب ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٢م .
- دينامية النص الشعري ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، حققه وعلق عليه : د. وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- السبعة في القراءات ، لأبي بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ (د.ت) .
- السيمياء والتأويل ، روبرت شولز ، ترجمة : سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- شعراء الغري ، علي الخاقاني ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٦م .
- الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .
- الظواهر اللغوية في التراث النحوي ، ج١ ، الظواهر التركيبية ، د. علي أبو المكارم ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٧هـ . ١٩٦٨م .
- العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، تأليف يوهان فك ، ترجمه وقدم له وعلق عليه ووضع فهارسه : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .
- العربية لغة العلوم والتقنية ، د. عبد الصبور شاهين ، دار الاعتصام ، مصر ، ط٢ (د.ت) .

- العربية وعلم اللغة البنيوي ، دراسة في الفكر العربي الحديث ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية (د.ت) .
- العربية والغموض ، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، مصر م ط١ ، ١٩٨٨م .
- العلاماتية وعلم النص ، نصوص مترجمة ، إعداد وترجمة منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- العلامة فضل الله وتحدي الممنوع ، علي حسن سرور ، بيروت ، دار الملاك ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- علم الدلالة ، د. احمد مختار عمر ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .
- علم الدلالة دراسة وتطبيقا ، د. نور الهدى الوشن ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط١ (د.ت) .
- علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، د. فايز الداية ، دار الفكر ، سورية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
- علم اللسانيات الحديثة ، د. عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .
- علم اللغة بين التراث والمعاصرة ، د. عاطف مدكور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، د. سعيد حسن البحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .
- علم اللغة والدراسات الأدبية ، دراسة الأسلوب ، البلاغة ، علم اللغة النصي ، برند شبلنر ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٧م .

- علوم القرآن عند المفسرين ، مركز الثقافة والمعارف الإسلامية ، الإعلام الإسلامي ، إيران ، قم ، ط١ (د.ت) .
- عناصر تحقيق الدلالة العربية ، دراسة لسانية ، د. صائل رشدي شريد ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٤م .
- فصول في اللغة والنقد ، د. نعمة رحيم العزاوي ، المكتبة العصرية ، بغداد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- فقه الحياة ، محمد حسين فضل الله ، حوار : احمد أحمد ، وعادل القاضي ، بيروت ، مؤسسة التعارف ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- فقه اللغة وعلم اللغة ، نصوص ودراسات ، د. محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩١م .
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، نحو تأريخ آخر للفكر الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الساقي ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- في التطور اللغوي ، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
- في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، عالم الكتب ، مصر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- في معرفة النص ، حكمت صباغ الخطيب (يمنى العيد) ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م .
- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .
- قراءة التراث النقدي ، د. جابر عصفور ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، ١٩٩٤م .
- القرآن المجيد ، محمد عزة دروزة ، بيروت ، (د.ت) .

- الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، إيران ، ط٥ ، ٢٠٠٤م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام ، البزدوي علاء الدين عبد العزيز بن إبراهيم البخاري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .
- الكلمة ، دراسة لغوية معجمية ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م .
- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .
- اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، د. احمد المتوكل ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ١٩٨٩م .
- اللسانيات والدلالة (الكلمة) ، د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط١ ، ١٩٩٦م .
- اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، مصر القاهرة ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .
- اللغة العربية بين الفهم وسوء الفهم ، د. كمال بشر ، دار غريب ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .

- اللغة والمجتمع . رأي ومنهج . ، د. محمود السعران ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٦٣م .
- اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز ، ترجمة : د. عباس صادق الوهاب ، مراجعة : د. يوئيل عزيز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- ماضي النجف وحاضرها ، جعفر باقر آل محبوبة ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- مباحث تأسيسية في اللسانيات ، د. عبد السلام المسدي ، مطبعة كويتب ، تونس ، ١٩٩٧م .
- مباحث الدليل اللفظي ، تقريرات الشهيد السعيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ) ، تأليف السيد محمود الهاشمي ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، ط٣ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .
- مباحث في علم اللغة واللسانيات ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- مبادئ اللسانيات ، د. احمد محمود قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
- مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- مجالس ثعلب ، لأبي العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، شرح وتحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٥ (د.ت) .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، دار الأسرة للطباعة والنشر ، قم ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
- مجهول البيان ، د. محمد مفتاح ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠م .

- محمد حسين فضل الله ، أمة في رجل ، محمد الجزائري ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م .
- محمد حسين فضل الله شاعرا ، إسماعيل خليل أبو صالح ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .
- محمد حسين فضل الله مفسرا ، محمد الحسني ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- مداخل جديدة للتفسير ، غالب حسن ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .
- المدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- مدخل إلى علم اللغة النصي ، تأليف فولفجانج من ، وديتر فيهفيجر ، ترجمة : د. فالح بن شبيب العجمي ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٩م .
- مدخل إلى علم النص . مشكلات بناء النص . ، تأليف زتيلاف واورزيناك ، ترجمه وعلق عليه : د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- مدخل للسانيات سوسير ، د. حنون مبارك ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٧م .
- المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي ، دراسة في فكر محمد حسين فضل الله ، إعداد : سهام حميه ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، آن إينو ، ترجمه : د. أوديت تبيت ، ود. خليل أحمد ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠١هـ . ١٩٨٠م .
- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ، تودروف ، شاف ، ستروسن ، دوميت ، افرسون ، ترجمة وتعليق : عبد القادر قنيني ،أفريقا الشرق ، ٢٠٠٠م .

- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي ، د. خليل أحمد عمايره ، دار وائل ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- مستدركات أعيان الشيعة ، حسن الأمين ، دار التعارف ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ . ١٩٩٨م .
- مطارحات في قضايا قرآنية ، محمد الحسيني ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، د. فتحي احمد عامر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٦م .
- معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مراجعة الأستاذ علي النجدي ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٢م .
- معاني القرآن ، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) ، تحقيق هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م .
- معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق : د. يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- معاني القرآن وإعرابه ، لأبي اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) ، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبدة شلبي ، خرج أحاديثه : علي جمال الدين ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .
- معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ، محمد هادي الأميني ، النجف ، ط١ ، ١٩٦٤م .
- المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته ، إعداد قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية ، مشهد ، إيران ، ط١ ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، حققه وعلق عليه : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ط١ (د.ت) .
- مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الأصفهاني (ت في حدود ٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت (د.ت) .
- مفهوم الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، د. أحمد جمال العمري ، دار المعارف ، مصر (د.ت) .
- مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٨م .
- المقاصد الكلية والاجتهاد المعاصر ، حسن محمد جابر ، دار الحوار للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
- مقالات في علم اللغة السيميائي والأدب المروي WILLAM , HENORIC ، ترجمة : د. نوزاد حسن أحمد ، ويوئيل يوسف عزيز ، أربيل ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
- مقدمة في اللغويات المعاصرة ، د.شحدة فارع ، ود. جهاد حمدان ، ود.موسى عمايرة ، ود. محمد العناتي ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط١، ٢٠٠٠م .
- مقدمة في نظريات الخطاب ، تأليف ديان مكدونيل ، ترجمة وتقديم : د. عز الدين إسماعيل ، المكتبة الاكاديمية ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، تأليف بريجيه بارتشت ، ترجمه وعلق عليه : د. سعيد بحيري ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٥م .
- مناهج النقد المعاصر ، د. صلاح فضل ، دار الآفاق العربية ، مصر ، ط١ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .
- من بديع لغة التنزيل ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م .

- من النص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، بول ريكور ، ترجمة محمد برادة ، وحسان بروقيه ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- المنهج البنائي في التفسير ، محمود البستاني ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .
- من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .
- موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ، تأليف : ر.هـ.رويتر ، ترجمة : د.أحمد عوض ، عالم المعرفة ، الكويت ، رجب ، ١٤١٨هـ ، تشرين الثاني ١٩٩٧م .
- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠١هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .
- النحو العربي ، دراسة نصية ، صابر بكر أبو السعود ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- نسيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .
- النص ، السلطة ، الحقيقة ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- النص والخطاب والإجراء ، تأليف : روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م .
- النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م .
- نصيات بين الهرمنيوطيقيا والتفكيكية ،ج.هيو سلفريان،ترجمة: حسن ناظم، وعلي حاكم صالح،المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

- نظام الارتباط والربط في تركيبة الجملة العربية ، د. مصطفى حميدة ، الشركة العربية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٧م .
- نظرية أفعال الكلام العامة ، اوستين ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، ١٩٩١م .
- نظرية المعنى في النقد العربي ، د. مصطفى ناصف ، دار القلم ، ١٩٦٥م.
- النقد والدلالة ، نحو تحليل سيميائي للأدب ، محمد عزام ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٩٦م .
- هسهسة اللغة ، رولان بارت ، ترجمة : د. منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ) ، حققه وقدم له : محمد حسن أبو العزم الزفيتي ، القاهرة ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية ، د. احمد المتوكل ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .
- وصف اللغة العربية دلاليا ،محمد محمد يونس علي ، منشورات جامعة الفاتح ، ١٩٩٣م .

البحوث والدوريات :

- آليات قراءة النص الديني ، د. يحيى محمد ، مجلة المنهاج ، السنة الثامنة ، عدد ٣٠ ، صيف ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٠م .
- اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ، د. سعيد حسن بحيري ، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ج٣٨ ، مج١٠ ، رمضان ١٤٢١هـ . ديسمبر ٢٠٠٠م .
- تأملات في المنهج البنائي ، د. محمود البستاني ، مجلة قضايا إسلامية ، العدد ٥، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .
- حبك النص من منظورات التراث العربي ، د. محمد العبد ، مجلة فصول ، العدد ٥٩ ، ربيع ٢٠٠٢م .
- خلاصة التفاسير الإسلامية المشهورة ، فاضل الركابي ، مجلة قضايا إسلامية ، العدد٧ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- الربط بين الجمل في النص الشعري ، صلاح الدين حسنين ، علامات في النقد ، ج٣٩ ، مج١٠ ، ذو الحجة ١٤٢١هـ . مارس ٢٠٠١م .
- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، سعد مصلوح ، مقالة منشورة في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، ١٩٨٩م .
- لسانيات النص ، خير حمد العين ، علامات في النقد ، ج٣٨ ، مج١٠ ، ١٤٢١هـ . ديسمبر ٢٠٠٠م .
- المدرسة التاويلية المعاصرة ، د. احمد بهشتي ، المنهاج ، ع٣٦ ، السنة التاسعة ، شتاء ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٥م .
- مشكلة الدلالة . الميتالغوي . ينفس تييري ، ترجمة جورج أبي صالح ، العرب والفكر العالمي ، العدد٨ ، خريف ١٩٨٩م .
- مفهوم المعنى ، دراسة تحليلية ، د. عزمي إسلام ، حوليات كلية الآداب ، الكويت ، الحولية السادسة ، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م .

- المنهج الترابطي ونظرية التأويل ، دراسة في تفسير الكاشف ، جواد علي كسار ، قضايا إسلامية ، العدد السابع ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- منهج التعاطي مع القرآن ، احمد حسين بهشتي ، مجلة قضايا اسلامية ، العدد٧ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- من وحي القرآن وثلاثية الظهور والرواية والعقل ، مقابلة مع السيد محمد حسين فضل الله ، حاوره إبراهيم الموسوي ، قضايا إسلامية ، العدد السابع ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- الموسم ، مجلة فصلية ، عدد خاص عن السيد الخوئي ، العدد١٧ ، ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م .
- هرمنيوطيقا الكتاب والسنة ، محمد مجتهد شبستري ، قضايا إسلامية معاصرة ، العدد السادس ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- هرمنيوطيقا الكتاب ، فهم النص المقتضيات والنتائج ، احمد بهشتي ، قضايا إسلامية معاصرة ، العدد السادس ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
- نحو آجرومية النص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، د. سعد مصلوح ، فصول ، مج ١٠ ، عدد ١، ٢ ، يوليو ، ١٩٩١م .
- نشرة بينات ، صادرة عن المكتب الإعلامي للسيد فضل الله ، عدد ١١٧ ، ١٩٩٨م .
- النص وظائفه وشروطه ، مقدمة أولية لعلم النص ، تون فان دايك ، ترجمة جورج أبي صالح ، العرب والفكر العالمي ، العدد الخامس ، شتاء ١٩٨٩م .
- نظريات قراءة النص ، لمياء باعشن ، علامات في النقد ، ٣٩ ، مج١٠ ، ذو الحجة ١٤٢١هـ . مارس ٢٠٠١م .

الرسائل والأطاريح

- تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية ، رسالة ماجستير ، صفاء صنكور جبارة ، قسم الإعلام ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .

Abstract

This thesis is a simple attempt to read the explanation : ((From the Quran inspiration)) . It is anew reading for the explanatory efforts of ((Ayatollah Mohammed Hussein Fidilullah)) from a textual point of view . What leads to this sort of study is that MR. Fidilullah looks to the Quran a long his explanation as a complete epistemological unit and explaing the Quran by the Quran itself is a main idea in the explanation .

These Factors encouraged the researcher to study this explanation and identifying the various textual sings it has .

The researcher doesn't follow a certain method of a textual researcher methods , but he tries to make use of all its merits to gather because they are intermingled with each other and indispensable in the modern textual – lesson .

The thesis consists of three chapters , a conclusion and a preface about Fidilullah's life and general description of the explanation .

The first chapter presents the theoretical part about the development of textual – linguistic , the relation between the text and meaning , the text and the sentence , characteristic of textuality and directions of textual research . The chapter also demonstrates the Quranic text and its valve . The chapter ends

with sheding lights about some of the textual roots in the Arabic epistemological heritage .

Chapter two has the practical side about the concept of textual cohesion and it is divided into two Main topics :

1- The linquistic means of cohesion and it includes the linquistic tools and reference .
2- The semiotics means of cohesion .

The third chapter is divided into three parts .

The first is concerned with the great textual constructions in the explanation . The second is concerned with explaining the textual – relations in the Quranic text and the chapter ends with identifying the receiver and his role in obtaining a certain sing from the Quranic text .